

الطبعة 2
الحقيقة السوداء والأرض المُحرّمة
المعتقدات الدينية للشعوب
د. أيوب الحجلي
دار اكتب

٢٣٧٨٥٠

الحقيقة السوداء

الحقيقة السوداء والأرض المُحرّمة

المعتقدات الدينية لدى الشعوب

د. أيوب الحجلي
الطبعة الثانية ، القاهرة 2017م
غلاف : أحمد فرج
تدقيق لغوي : خالد المصري
رقم الإيداع : 2017/7514
I.S.B.N: 978-977-488-355-2



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01144552557 – 01147633268

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

الحقيقة السوداء

والأرض المُحرمة

المعتقدات الدينية لدى الشعوب

د. أيوّب الحَجَلي



دار اكتب للنشر والتوزيع



الإهداء

الماضي قد يؤلمنا... ولكنه مدرسة الحياة

إلى الماضي المُنصرم كل التقدير

أيوّب



إلى الدكتور أيوب ورحلته في الأرض المحرمة

تقدمة بقلم الأستاذ الدكتور نذير العظمة[1]

دراسة نفسية تاريخية للميراث الديني عند الشعوب بسعة الحضارة والأرض. وتأكيد عالمية التجربة الدينية عند الإنسان من فجر التاريخ حتى العصر الحديث. وعلاقتها بالطبيعة والجنس والحلم والخوف من المجهول والموت والانتقال من عبادة عشتار إلى المثنوية المزدكية وصراع الخير والشر، برمزية الظلام والنور والتصور الأسطوري لإلهين يتصارعان لتقرير مصير الإنسانية بين الخير والشر.

والعبادات الطوطمية بطقوسها الفردية والجماعية والتوق إلى حلم التوحيد في التجربة الدينية وجلاء ظاهرة التقمُّص والقيامة من الموت، والاهتمام بالأديان بسعة القارات بمنهجيةٍ ألصق بالفولكلور الديني والتاريخ وعلم النفس لإدراك التطورات والمفاهيم الدينية ومظاهرها الفردية والاجتماعية وطقوسها المشتركة وأبعادها في اللاوعي والخوف

---

[1] نذير العظمة شاعر وأديب سوري، من أوائل الشعراء الذين كان لهم دور في تطوير القصيدة العربية الحديثة، فيما يعرف بالقصيدة المدورة، ولد في عام 1930 في دمشق، وتخرج من كلية الآداب في جامعة دمشق، حاصل على درجة الدكتوراه في الأدب من الولايات المتحدة الأميركية، عمل أستاذا في الجامعات الأمريكية، وعمل أستاذ الأدب الحديث والمقارن بجامعة الملك سعود بالرياض. وفي عام 1957 شارك في تأسيس مجلة "الشعر".

والتوق إلى الحلم بأمانٍ معرفي إنساني يتراوح بين الوعي واللاوعي للوصول إلى طمأنينة التوحيد.

وتركيز الضوء على المرحلة التوراتية والتلمودية واحتكاراتها للمواريث الدينية وادعاءات اليهود بالسبق الحضاري في ذلك المجال ومحاولات الأعور الدجّال اختلاس دور المخلص في التاريخ الديني وصراع الخير والشر.

وغنيٌّ عن البيان أن تراكُم التراث الديني في الحضارة الإنسانية يعبّر عن عالمية التجربة الدينية وأبعادها الحيوية والنفسية، لكن التوجُّه العلمي لفهمها يمكن أن يكون أكثر إقناعًا لنا لاقترابه الموضوعي والنظر إلى التجارب الدينية ومواريثها الإنسانية من خلال حقيقة مركزية واحدة هي الموت. فالموت هو الجدار غير المرئي الذي يصطدم به الإنسان وقد أولاه المفكرون اهتمامًا بالغًا. بعضهم يزعم أنه لولا الموت لما كانت الأديان والتفكير بمسألة الموت تدعو إلى تجاوزه باستمرار الحياة بعده في عالم آخر وقدوم يوم للقيامة، ينهض فيه الموتى من القبور ليواجهوا الحق والحساب إن خيرًا فخير والانتهاء بالخلود في الفردوس. وإن شرًّا فشر بالعذاب الذي لا ينتهي في جهنم. فجدار الموت ليس النهاية وإنما هو بوابة لحياة أخرى في النعيم أو الجحيم جزاء ما اقترف الإنسان من أعمال في حياته في عالم التراب.

فأصحاب الفكر الديني اخترقوا هذا الغيب برؤيا الخليل إبراهيم، وإن انقطاع الحياة البشرية على الأرض لا يعفي الإنسان من المسؤولية فهو ليس إلا عتبة لعالم آخر يستمر فيه الوجود الإنساني بالقيامة من الموت في يوم البعث والحساب على ما اقترفه المرء في الدار الدنيا، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

أيًّا ما كان الأمر فإن دراسة صديقنا الدكتور أيوب الحجلي "الحقيقة السوداء والأرض المُحرمة" لا تُغني مساحتنا الفكرية عن الأديان والتجربة الدينية للإنسان فحسب، بل إنها تُحرضنا على التفكير والمشاركة بهذا المسعى الأكاديمي النبيل.

الأستاذ الدكتور نذير العظمة

رئيس المكتب السياسي والثقافي في الحزب

القومي السوري

الإقليم الشامي



المقدِمَة

في المدة الدينية التي تلت فترة المجمّعات الإلهية، وهي الفترة التي بدأت فيها ملامح الدين تبتعد عن الأساطير الغريبة، وتوحّد آلهتها ضمن شخص معبود واحد، وهذا نوع من أنواع التطور العقلي وارتفاع مراتب وعي العقل، بدأت الكتابات الدينية التي اعتمدت على المعتقدات السائدة تنتشر وتحلّ محل التقاليد الدينية المختلفة عنها في الشكل، ولكنها تمتح من نفس المضمون، وهذا ما دفع اليهود لأن يشكّلوا معتقداتهم الخاصة والتي أخذت تجمع مما حولها ـ وهذا لعدم توافر أساطير أو تصورات دينية سابقة لهم ـ حيث ابتدعوا طريقة مميزة وغاية في الغرابة في الحفاظ على دينهم من أي طارئ قد يأتي سواء أ كان هذا الطارئ داخليًّا أم خارجيًّا، فالقدرة الحقيقية تكمن في حفاظهم على التعاليم السرية والتقاليد التوراتية التي تبلورت ضمن التلمود المقدس، وضمن بعض المؤلَّفات الخجولة التي خرجت من المحلية إلى العالمية في العالم القديم والمعاصر لتلك المجموعة المتفرقة، حيث قام الأحبار والحاخامات وأسياد السلطة الدينية ضمن المجتمع اليهودي في العمل على الاستفادة من مرحلة "الدياسبورا" أي التشتت للانطلاق إلى كسب الانتشار الأوسع والذي قد يحقق لهم وجودًا على

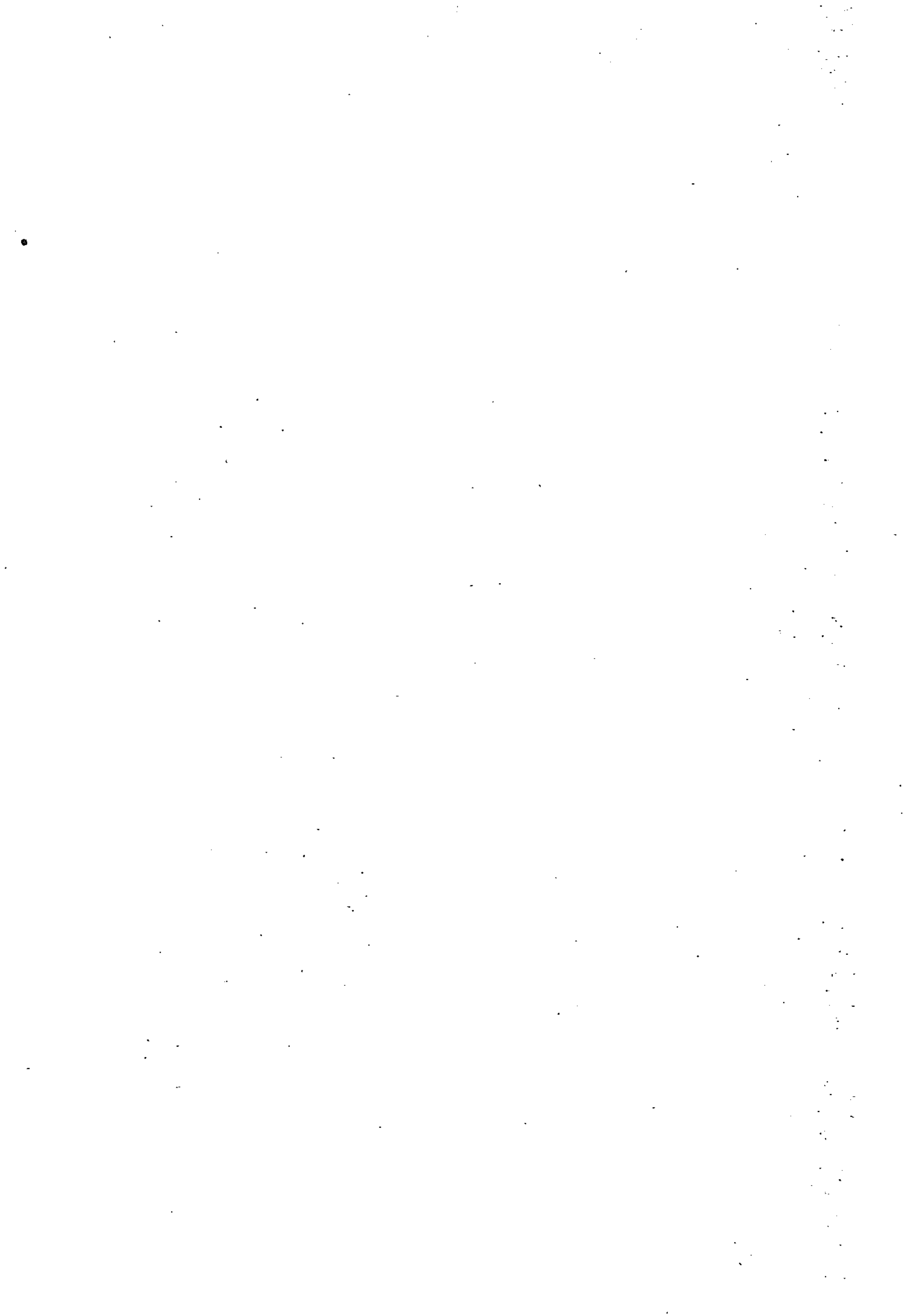
رُقعة المشرق العربي في فترة الظهور المسيحي والدعوة التبشيرية المجيدة، والفترة القصيرة التي سبقت الرسالة الإسلامية الشريفة، والتي حاربها اليهود قبل وفاة الرسول الكريم "ص" في المدينة وبعدها مستغلين حروب الرّدة لنسج دسائسهم، واستمروا بتنظيم المجموعات في الفترة الأموية والعباسية وفترة الممالك المتفرقة هنا وهناك، وقد عرضنا ذلك في المؤلف السابق "العبادات الآثمة".

ولكي نتوصل إلى التسلسل الفكري في التأليف الديني للمعتقدات اليهودية وما حوته أفكار التلمود والتوراة، قمنا بتتبع الفكر الديني في العالم القديم من قارة أمريكا إلى أستراليا ثم أوربا وآسيا فالمشرق العربي لنشكل القاعدة الثابتة التي ارتكز عليها الفكر التوراتي - التلمودي المصطنع، فقصة السبي البابلي قد تكون وعلى حسب التوراة - سِفر أستير - في الهند لا في العراق، وقصة الخروج قد تكون من أرض فارس لا من أرض الكنانة، وغيرها من القصص المنسوجة في هذا الفكر، وباعتمادنا الوثيق على الديانة المسيحية والديانة الإسلامية نستطيع إدانة التوراة وبنيتها المفككة، لأن اليقين في الديانتين المذكورتين لا شكّ فيه، أمّا في التوراة فما بُني على باطل فهو باطل، والباطل هنا التأريخ غير الدقيق والموثّق في المراجع لأحداث دارت في صفحات التوراة ولم تعرفها الأرض بتاتًا، ولأشخاص ذُكِروا في التاريخ التوراتي ولم يولدوا على البسيطة أيضًا.

الحقيقة السوداء والأرض المحرّمة... هو الحلقة الثالثة من سلسلة الكشف الحقيقي عن خبايا الأسرار اليهودية، فلقد قمنا بالعمل على إيضاح ما هو مخفي عن العقل البشري والوجود الإنساني بالطريقة الدينية الرهبانية، وسنترك لقارئنا العزيز حرية التحليل والتركيب والاستنتاج بما كنّا قد قدّمناه من معلومات في هذه الثلاثية عن الفكر اليهودي نضعها بتواضع بين يديه لتكتمل صورة هذه المعتقدات المظلمة والعبادات الآثمة بحقيقتها السوداء؛ لتكون هناك أرضٌ محرمةٌ تنتصب عليها الأفكار الماسونية اليهودية لتحيط العالم وتدمّره وتعيش على أنقاضه المادية والبشرية والفكرية، آملين أن نصل إلى بعض الحقيقة في هذا الجهد البسيط أمام باقي الجهود المبذولة في نفس هذا المضمار الذي انفتح على عالم واسع من البحث والدراسة والعمل والجهد.

وجزيل الشكر والتقدير لدار أكتب للنشر والتوزيع المتمثلة بصاحبها الأستاذ يحيى هاشم والعاملين فيها؛ لتبنيها هذا العمل ساعيةً لأن يَرَى النور فوق الأراضي المصرية في هذه الظروف الصعبة، وهي كما عودتنا بإصداراتها المتميزة ننتظر منها كل ما هو جديد وغني ومفيد للفكر العربي والمكتبة العربية العريقة.

والله ولي التوفيق.



الباب الأول

التّكوين الديني القديم



الفكر اللاهوتي

إن بداية الفكر اللاهوتي في العقل البشري، يمتدُّ بنا عبر مسارات التاريخ إلى أبعد من آلاف السنين، فقد تكوّن هذا الفكر منذ القديم لتفسير الأمور العالقة "الأحلام" والهروب من مجهولية الموت والابتعاد عن المخاطر المحيطة كالأعاصير والزلازل... وإذا أعدنا هذا التوجه إلى علم النفس نستطيع تشكيل فكرة واحدة تُلخص الفكر البشري والتطور اللاهوتي، وهي أن الخفي في العقل المُدرك يعتبر من المجهول، والفكر الواعي لا يستطيع استنتاج الحلول إلا إذا كان لديه معلومات مخزنة في ذاكرته الواعية، وتأتي هذه المعلومات من تراكمية التجارب والحياة، وبافتراض أن هذه الذاكرة لم تكتمل بعد، سيعجز العقل عن تفسيرها، وهذا يؤدي إلى بقاء هذه الأمور الغامضة مصدرًا للقلق

الداخلي الذي ينتج الخوف وعدم الاستقرار النفسي، فيقوم العقل اللاواعي بالدفاع عن الإدراك ليبدأ بالبحث عن التفاسير الماورائية، فتأتي أحلام تُعتبر عند المجتمع هذا بوصفها رؤى إلهية أو غير عقلية. وسنأخذ مثالًا للدراسة عن الانقياد اللاواعي في الفكر البشري باتجاه آلهة خارقة لا يجب إغضابها، من وجهة نظر علم النفس الأسطوري "سيكولوجيا الاغتراب" لنستطيع التعرُّف عن كثب إلى الأبعاد التأليهية لأشخاصٍ حاربوا الآلهة وهزموها ــ في الخيال الأسطوري النفسي ــ بارتباطهم الوثيق بالفكر اللاهوتي الغائب.

***

أسخيلوس ونظرية التمرد

الشخصية الأدبية القديمة والعريقة "أسخيلوس" الذي عاش بين عامي 525 ــ 456 قبل الميلاد في عصر الأفكار العظيمة والأفعال المجيدة في تاريخ الإغريق "الأمجاد الأثينية ــ الإغريقية" إبان الحروب الفارسية التي كان فيها من الأبطال المشاركين، حيث بقيت أحداث الحرب وأمجادها راسخة في شخصيته المميزة مما أسدل نقاب المأساوية على فنه وأدبه.

كان أسخيلوس ابن الطبقة الأرستقراطية يميل إلى العامة، وينكر الطغيان المُمارَس من قبل الطبقة المخملية والحاكمة، لما في هذه الممارسة من ظلم وجور على عامة الشعب، والدليل على هذا الامتعاض مسرحيته التراجيدية "بروميثيوس مقيدًا" فهي تصور ثورة ديمقراطية طبقية، ويعتبر أيضًا من عباقرة التاريخ الأدبي عامة

والمسرحي بشكل خاص، فقد عمل على النقد السياسي للأوضاع المعاصرة في أعماله، حيث يتميز مسرحه بالفخامة والسمو والقوة في العبارة والفكرة والطابع العام، وبكل التنوع في مسرحياته نجد أن العدالة هي المحور الأساسي لها.

كانت الترعة إلى التمرد والثورة على كل ما هو معاصر له من أهم ميزاته الشخصية، فعمل على ترسيخ هذه الترعة بشكل نفسي ديني لا يُناقش في صحته أبدًا، إذ زعم أنه عندما كان شابًّا وكان يتمشّى في الليل في رحاب الحقول، ظهر له فجأة إله الخمر "ديونيسيوس" كمندوب عن آلهة الأولمب، وأمره بأن يكتب مسرحيات تراجيدية، ومن حينها شرع يؤلف انصياعًا لهذا الأمر، فقد انفرد بالمركز الأول في أثينا بكامل أعماله ومنها مسرحيته "الفُرس" عام 472 قبل الميلاد، و"ثلاثية طيبة" عام 467 و"الثلاثية الأوريسية ــ حاملات القرابين" عام 458 و"السبعة ضد طيبة" عام 467.

مأساة برومثيوس: تعتبر هذه المسرحية هي النموذج الحقيقي للتمرد ضد الآلهة، حيث يصور هذا العملاق البشري أنه يتحدّى رب الأرباب "زيوس"، وبعد صراعات طويلة يرفض الانصياع لأوامره المتكررة، فيحول زيوس الصحراء إلى جحيم ليرمي به برومثيوس، بعد أن أتى بإلهيّ القوة والنار ليثبّتانه على صخرة في هذه الصحراء، وبعد أحداثٍ طويلة يُفرج زيوس عنه دون أن يغير موقفه.

وهذا يدلّنا على أن فكرة التمرد ضد الوجود الخفي قد يجعل التطور الديني يقطع أشواطًا من الرقي الفكري مبتعدًا عن فكرة الطوطمية البدائية مع الحفاظ على جوهرها، وفكرة النزعة البشرية التي بدأت تتولد داخل المجتمعات بتوافر الثروة المادية، حيث تُغذي الثروة فكرة الديكتاتورية الفردية التي تنشأ ضمن إطار عشوائي يدفع بالأحداث إلى فوضى عامة، فيدخل الدين بشكل جديد وسلطة جديدة.

وباعتبار أن العقل البشري – هو بالنهاية – عقل جمعي حسب نظرية العقل الكوني، فقد تناقلت أساطير التكوين والوجود والخلق والحياة القانونية من وإلى المجتمعات جميعها المتناثرة على رقعة العالم القديم، إذ كانت أسطورة التكوين البابلية والسومرية والأكادية وأخيرًا التوراتية، ومثلها الطوفان والجحيم والموت والبعث والنزول إلى العالم السفلي، تتشابه في كل أحداثها الجوهرية، ولكن كان الاختلاف يتشكل حسب البيئة والمكان واللغة أحيانًا، لأن المكان الحاضن لهذه الأحداث هو بطل من أبطال الأسطورة، فمثلًا حارس غابات الأرز "خمبابا" في أسطورة جلجامش كان لا بدَّ من ذكره في الرواية، ولكن لو لم تكن هناك غابات من الأرز في المرتفعات الساحلية لبلاد الشام لما كانت هذه الحادثة قد تبلورت بهذا الشكل.

وعند قدماء الفراعنة المصريين، كانت البيئة هي من العوامل الأساسية في عملية التحنيط والحفاظ على الجسد بعد الموت، نتيجة الحرارة المرتفعة والجو الجاف الذي يحافظ على اللطرون أي الصوديوم الطبيعي المهم في عملية التحنيط والتجفيف.

وقد نزعم أن الشخص المُخلص للبشرية أو بتعبير أصح الشخص الذي عصى الآلهة وخلص العرق البشري من المحنة الإلهية النازلة فوق رؤوسهم كالقدر الحرون، هو نفس الشخص في قوالب مختلفة باختلاف الزمان والمكان والبيئة لكن في نفس الإطار والجوهر، لدى الفراعنة هو الإله حوروس "الإله الصقر" الذي علّم الفراعنة علوم الزرع والأعمال الزراعية مثلًا، وعند البابليين هو الشخص الذي أنقذ البشرية من الطوفان بالسفينة الكبيرة التي صنعها على شكل مربع وكان يُدعى "أوتنابشتم" والذي قصده جلجامش ليحصل على الخلود الأبدي، وكان يسكن في أرض الخلود "دلمون" أو مملكة البحرين حاليًا، وفي جعبة اليونان مثال آخر عن هذا المنقذ، فهناك الشخص الذي خلص البشرية من الحريق ــ ويُمثل هنا بالطوفان ــ فاختبأ في كهف مدةً ليست بقليلة، فعاقبته الآلهة أن حولته إلى امرأة سبع سنوات، وعندما وقع جدال بين الإلهة هيرا وزوجها الإله زيوس عن أي الطرفين يتمتع بالفعل الجنسي أكثر الذكر أم الأنثى؟ رجعوا إلى ذاك المُخلص باعتباره عاش الحالتين فأرجح كفة زيوس أن الأنثى أكثر..

فعاقبته هيرا بأن أخذت منه بصره، ولكن زيوس أعطاه عوضًا عنه الحكمة البالغة. وغيرها من الأساطير المتشابهة إذا لم يكن في كليتها فهي متشابهة بجزئيتها الكبيرة.

هذا المرور السريع على أفكار التكوين اللاهوتي والأساطير القديمة، تفتح لنا باب الفكرة المتقدمة في مضمار بحثنا، وهي فكرة تكوين الألوهية لدى الديانات القديمة، فقد كتب الباحث السوري المتميز الأستاذ "فراس السواح" في كتابه مغامرة العقل الأولى في أول طبعة له عام 1976 عن نشوء هذه الفكرة، فقد ذكر في مؤلّفه عن سفر التكوين البابلي والسومري والكنعاني ومن ثم التوراتي، ليؤكد فكرة الجمعية في التكوين الأول وهذا في حضارات مختلفة، وسنتطرق لبعض الديانات القديمة وناحية اللاهوتية فيها في هذا البحث ولتسهل علينا الدراسة سنقوم بتقسيمها إلى عدة نواحٍ:

- العبادة النسائية.
- الطوطمية.
- العبادة الثنائية.
- عبادة المجمع الإلهي.

***

- أولًا: العبادة النسائية:

وهي عبادة الآلهة المؤنثة، أو الأم الكبرى، وهذه العبادة ترتكز على قائمية الأم الخالقة للوجود وهي بصفة أنثوية، وقد سادت فكرة العبادة المؤنثة فترة طويلة تقدر بآلاف السنين من عمر الديانات القديمة، وتطورت بأشكال عدة في الديانات المشرقية، وأخذت أسماء عديدة في كل حضارة دينية، مثل عشتار عند البابليين، وعشتاروت لدى الفينيقيين، وإيزيس الفرعونية، ولدى اليونان والرومان أخذت الأسماء المعبودة مثل هيرا وأفروديت وفينوس... وكانت تُعبد الآلهة النسائية أيضًا كإلهة للحرب مثل أثينا المحاربة التي وُلدت بلباس الحرب من جبهة أبيها زيوس ولم ينبض قلبها بحب رجلٍ أو إله، وقد دخلت الصور الأسطورية والقصص الملحمية ضمن هذا الإطار، فكانت الشخصية البطولية في أكثر من ملحمة قديمة لتغير في سير أحداثها أو لتؤكد قدسية بطلها، والمثال على هذا في ملحمة جلجامش الذي حارب وحشًا أسطوريًّا هو وصديقه أنكيدو فأتت عشتار لتعرض نفسها عليه ولكن بذكائه وبُعدِ نظره رفض أن يقع تحت أهوائها لخوفه من أن ترسله للعالم السفلي كما هو معروفٌ عنها، فقامت بقتل صديقه أنكيدو عن طريق والدها كبير مجمع الآلهة. وأيضًا في الأوديسة ــ ملحمة هوميروس الخالدة ــ حيث تدخلت أثينا في المنازلة الأخيرة بين أخيل وهيكتور بطلي حرب طروادة، فرجَّحت كفة أخيل لينتصر على فيكتور أمام أبواب طروادة ويقتله.

***

ثانيًا: الطوطمية:

الطوطم في المعنى هي التحريم أو المخلوق المحرّم لدى القبائل والعشائر، وعلاقة المرء مع طوطمه هي علاقة التابو "التحريم" ويُعتبر قتل الطوطم من الأمور غير الجائزة أبدًا، ولكن إذا قُتل الطوطم من قبل الغير فلا ضيرَ من أن يأكل الشخص من لحم طوطمه، ويجب ألّا يمتنع الشخص عن أكل طوطمه وألّا يكثر منه ففي الحالتين يكون تصرفه مكروهًا ويؤدي إلى انقطاع الحالة الوجدانية بينهما، ويشمل الطوطم المخلوقات المختلفة حيث تبدأ من الحيوانات على اختلافها من ثم النباتات وهي المرتبة الأدنى وبعدها تأتي بقيّة الأغراض والأدوات.

وعند القبائل الرعوية أو القبائل غير المستقرة تحوّل موضوع الطوطم من حالة اقتصادية إلى حالة دينية، فمثلًا لدى قبائل شمال شبه الجزيرة العربية كان الطوطم المحرم هو الجمل، فلا يجوز ذبح الجمل من أجل لحمه، وهذا الموضوع مرتبط بأهمية الجمل في السفر ونقل المتاع وغيرها، ولدى اليهود كان الطوطم المحرم لفترة طويلة هو الماشية، وبالتحديد الماعز لأهميته في تقديم القرابين للإله يهوه، ومن ثم جاء العجل تيمنًا بالعجل الذهبي "عُزير" الذي صنعه الشعب اليهودي عند غياب موسى في شعاب الجبل، ويأتي الخنزير من جملة الطوطم عند اليهود.

وهناك أنواع من الطوطمية القائمة على الجنس، فعند قسم من قبائل أسترالية الطوطمية ـــ المناطق الجنوبية الشرقية ـــ تقوم الأشكال الطوطمية على الحالة الجنسية الشخصية، وجوهر هذه الطريقة يقوم على التشابه بين الجنسين، فإذا كان طوطم الرجال في القبيلة الوطواط مثلًا، يكون الطوطم لدى النساء البومة، وعلى هذا الشكل، والطوطم الشخصي يتفرّد به الرجال فقط، بل الأقلية منهم كالسحرة والقادة والمشعوذين، فيكون هذا الطوطم بعض نساء القبيلة ولا يُسمح لأي شخص بالاقتراب منهن إذ يُعتبر خرقًا للتحريم، وبالنماذج المذكرة أو المؤنثة الميتة فإنهم يمارسون الصيد ويسوقون القطعان ويؤدون الطقوس الدينية، كالأحياء تمامًا، ويُعتبرون هم خالقو الأساطير ـــ أي الأرواح الميتة للأسلاف ـــ والأسلاف الطوطميون كانوا ينتقلون تحت الأرض كما ورد هذا في بعض الأساطير، وبالنهاية يخرجون من تحت الأرض أو يتحولون إلى صخرة أو شجرة أو قطعة من الحجر لتبقى فكرة وجودهم حاضرة لا تغيب عن الأعين والأفكار.

***

ثالثًا: العبادة المثنوية:

سنقدم فكرة وجيزة عن هذه العبادة، باعتبار أنه قد توسع البحث فيها في أكثر من موضع في هذا المؤلف، حيث بُنيت هذه الفكرة على وجود الثنائية الإلهية القائمة على وجود إلهين اثنين، وهما إله الخير والعدالة وإله الشرّ، وفي نهاية المطاف ينتصر إله الخير ليرمي الآخر في الجحيم.

وسنبحث في الثنائية الدينية لدى الحضارة الإيرانية، مثالًا لبحثنا هذا، إذ تُسمى هذه الديانة أو الثنائية "دواليزم" وهي ثنائية البدء المنيرة والمظلمة، وهي ظاهرة غريبة بالنسبة للديانات القديمة، فلم يكن لها أي وجود في الديانات الهندية والصينية واليابانية، ووجودٍ قليلٍ خجول في الديانة المصرية وديانة ما بين النهرين، فما هي جذور الثنائية؟

قد عُرضت فكرة مفادها: إن متناقضات الطبيعة في سهوب ومرتفعات إيران كالطوفان والزلازل والصحراء الشاسعة، انعكست على الرؤى الخفية، لتُظهر فكرة التناقض الكوني، ولكن هذه النظرية يتملّكها بعض الضعف، لأن التناقضات موجودة في كثير من بلدان العالم، ولكن بحكم الاختلاط بالديانات الشرقية من الجهتين، من شرق آسيا ومن غربها، بدأت تدخل أفكار التكوين والوجود فكانت بداية لتشكيل "الديانة المزدكية" في إيران، وهي القائمة على فكرة الأخوين

التوأمين وهي ثنائية تعود إلى تواريخ سحيقة في قدمها، حيث كان اسم إله الخير وهو أحد التوأمين "أهوار مازدا" واسم الثاني أو إله الشر "أهريمان"، حيث خَلقَا الكون وتقاسما النور والظلام، وفي آخر العالم سيقوم أهوار مازدا في جولته الأخيرة بتكبيل أهريمان ورميه في السعير بعد أن هُزم على يديه مرات عدة في الدنيا، وفكرة الوجود الأول أي النور والظلام تبلورت في الأساطير التوراتية، حيث ذُكر في سفر التكوين أن الله كان وحيدًا في الظُّلمة فأمر بالنور ـــ إذًا بدأت منذ الكلمة الأولى في التوراة الحبكة الضعيفة والعاجزة، حيث أكدت هذه الفكرة أن الخالق هو الشخص العاجز الذي خلق النور ولم يخلق الظلام، بحيث إنه كان موجودًا مسبقًا ـــ وتطورت هذه الفكرة المثنوية لدى الديانات المتقدمة في العالم القديم الرومان واليونان، والديانة الفرعونية المصرية بأكثر من موضع وأكثر من أسطورة أو نشيد ديني مرفق بطقسه الديني.

***

رابعًا: عبادة المجمّع الإلهي:

وهذه الحالة هي الفكرة المثالية في التوزيع الجغرافي للآلهة لدى أغلب الشعوب القديمة، فكانت الحل الوحيد لتوحيد الفكرة الاجتماعية، حيث كان المجتمع لا يزال تابعًا للمركزية القريبة، فكانت كل مدينة مركزية بحكمها وديانتها وقوانينها، وتدرجت قصة المجمّع الإلهي بخطوات ومراحل متتابعة في كل الأساطير لأكثر من شعب، كان هناك خالق أساسي وهو العماء الأبدي والذي يُمَثّل بالأم الكبرى، وقد أنجبت جيلًا من الآلهة، فقام هذا الجيل بالثورة وتنحية دور هذه الأم، واستلام زمام الأمور من قبل أقوامهم لينفرد بالحكم الكوني بمساعدة باقي الآلهة، وهذا ما حصل في أسطورة التكوين البابلية "الأيونامايليش" التي ذُكِرَت في الكتاب الأول "معتقدات مظلمة" وفي أساطير التكوين اليونانية حيث استولى زيوس على حكم الكون وأعطى أخاه بوسايدون عالم المحيطات، وأخاه هاديس العالم السفلي بعد أن دبَّر له مؤامرة محكمة.

وعند المصريين أيضًا حكم الإله رع بمساعدة زوجته إيزيس العالم بعد أن انفرد بالحكم الكوني، ومثال هذه القصص كثير وغني في الباقي من الأساطير الأولى. وهذا يدل على أن الفكر الجمعي هو الذي كان قد بسط يده على دوافع الفكر البشري، وكان مصدر هذا التوجيه الوحدة والأمان، بحيث كانت المجتمعات القديمة قد بدأت

تتشكل بعيدًا عن المشاع والغريزة الحيوانية، فأصبح المرء بعيدًا عن وحشيته ضعيفًا يبحث عن الذي سيعوّض النقص في شخصيته المركّبة في الإطار الاجتماعي، فبدأ بالتجمع ضمن الحلقات الاجتماعية البسيطة لتتطور وتصبح فيما بعد مجتمعًا إنسانيًّا ناهضًا، ولتتأكد هذه الفكرة وتتجسد بدون مواربة كان لابدّ من طبعها في اللاواعي المكبوت، وهو الفكر الديني والتبعية الماورائية، فراحت الأساطير تتشكل بالتجمع الإلهي لتعكس هذا التجمع على الأفراد والمجتمعات الناشئة وقتها.

بهذا نستطيع تكوين فكرة بسيطة عن الفكر اللاهوتي ومنشأه الفكري الباطني، ومع الأمثلة المطروحة نكون قد شكّلنا مبدأ لتفسير بعض الخفايا في تكوين هذا الفكر وتطوره بتطور المجتمع الحاضن له ولأفكاره ورموزه العديدة التي سنعرج على بعضها في العنوان القادم.

***

الأديان والرموز القديمة

لمعرفة أصول الرموز الدينية الأولى لدى الشعوب القديمة، والتعرّف إلى المنابع الأساسية للفكر الميتافيزيقي العميق في النفس البشرية، لا بدَّ لنا من الدخول إلى عالم التكوين الديني لدى الديانات القديمة على رُقعة العالم القديم، ليس في الديانات المشرقية وحسب، إنما في باقي الديانات القديمة.

وسنختار في هذا البحث البعض من الديانات العريقة والعبادات القديمة لنلقي عليها الضوء، فنوضّح الشكل الكامل للتكوين الرموزي المتعلق في هذه الديانات وما يلحق بها، حيث سنعرض نماذجَ متعددة من الأديان التي اخترنا دراستها، وهي بعيدة كل البعد والاختلاف عن بعضها من الناحية الإقليمية ـــ الجغرافية ومن الناحية الزمنية.

الأديان التي سنقوم بعرضها هي:

ـ أديان آسيا الشمالية وأوروبا: شعوب القفقاس ـ ديانة السلافيين القدماء ـ دين الكِلت الأقدمين.

ـ أديان آسيا الوسطى: أديان اليابان ـ أديان الصين.

ـ أديان الهند.

ـ ديانة إيران المزدكية.

ـ أديان شعوب إفريقيا.

ـ أديان شعوب أمريكا "المايا".

ـ أديان أستراليا.

***

أديان آسيا الشمالية وأوروبا

ـ أولًا ـ شعوب القفقاس:

إذا أردنا تتبع أصول شعوب القفقاس، نتبين أن هذه الشعوب وقعت تحت نفوذ الحضارات المشرقية القديمة، وأقام قسم كبير منهم وهم "أسلاف الأرمن والجورجيين والأذربيجانيين" دولهم وثقافاتهم في العصور القديمة الغابرة، وفي المناطق القفقاسية الجبلية انعكست على الحياة الدينية، فقد كانت هناك سمات مغرقة في القدم مع علاقات شبه بطريركية بقيت قائمة حتى انتشار المسيحية في القرن السادس، والإسلام في القرنين السابع والثامن، فقد بقيت الصفات الدينية القديمة هي المحور الأساسي، فأخذت صفة الطبائع الإنسانية داخل الإطار الديني الرسمي المسيحي والإسلامي.

ومن الصفات العامة للديانة القفقاسية القديمة التي بقيت تحت غطاء الدين الجديد، الصفات اليومية والعادات التقليدية، كالأعياد المرتبطة بحوادثَ ومناسباتٍ دورية، مثل عيد الخصب والكسوف والخسوف والعيد الشهري لغياب القمر وظهوره وأعياد بداية الربيع وبداية الشتاء، نضيف إليها أيضًا الارتباك الطارئ مثل الجفاف والزلازل والأعاصير، وأكثر ما يُلاحَظ هذا عند "الأوسيتين، الإنكوش، الأبخاز وأخيرًا التوشين".

وتركز دراسة المعتقدات السابقة للمسيحية والإسلام لدى هذه الشعوب على الشواهد والأدلة التي وصلت من مؤلفي العصور القديمة وزحّالتها ــ ولكنها بمجملها ضعيفة ومتهافتة ــ ولكن أصبح الاعتماد الأساسي على الأسس الأنتوغرافية الغزيرة في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر إلى القرن العشرين، وتعتبر الوثائق السوفييتية ــ زمن الاتحاد السوفييتي ــ من حيث النوعية كاملة بغناها في هذا المجال.

تعتمد العبادة القفقاسية على العشائرية ــ الأسرية حيث يرتبط أهل الأسرة بالشعلة المقدسة، وهذه الشعلة هي رمز بقاء العائلة وحمايتها من قبل إله الحدادة "سافا" وإذا دخل شخصٌ غريبٌ إلى العائلة وأمسك الشعلة أو الرماد أو السلسلة أصبح من أفرادها ولو كان مجرمًا، وكانت العائلات القفقاسية تقوم بطقوس احتفالية يومية

عند كل وجبة، وهي رمي القرابين للشعلة أي بعض قطع من طعام الوجبة نفسها، وكان يأتي الاحتفال الكبير في أحد الأحراش، وهو احتفال سنوي يضم كل العائلات بمكان مخصص لشعلة كبيرة كرمز الاتصال مع الأسلاف ومع الآلهة التي كانت تقبل منهم كل عيد قربانًا حيًّا وهو ماعز، فيقومون بذبحه وشويه في النار نفسها، ومن ثم يتناولونه ويشربون الخمر الموضوعة في أماكن مخصصة لها.

والتعاليم أو التقاليد الجنائزية لديهم تُعتبر من الأمور الحساسة والدقيقة، فكانت المرأة الأرملة تعاني – ولمدة عام – بعض التصرفات التي يجب أن تقوم بها، وهي انتظار زوجها الميت بجانب الفراش كل ليلة ولوقتٍ متأخر، وترتيب الفراش كل يوم، وحمل وعاء الماء والمنشفة إلى حيث كان يغتسل لتقف دقائق معدودات، وكأنه يغتسل فعلًا. ومن العادات المعروفة بالمراسم الجنائزية هي دفن الموتى في ضريحٍ حجريٍّ مرتفعٍ عن الأرض كي يبقى بعيدًا عن التراب، وإقامة العروض الرياضية والاحتفالية وفرش الموائد الكبيرة لإطعام الحضور ــ وهو حشد كبير ــ فيؤدي هذا إلى خراب بيت الفاقد وانهياره ماديًّا، وهو مُلزمٌ بهذه المراسم كي لا يقول عنه الحضور: "إن أمواته يعضّهم الجوع" وهم يعتقدون أن الموتى يأتون لتناول الطعام، وأكثر إهانة للقفقاسي ترك أسلافه من الأموات بلا قوت يومي يسد رمقهم بعد الموت.

وهناك احتفاليات بمواسم الزراعة السنوية وتسمى"الاحتفاليات الدينية الزراعية"، وهذه الأخيرة مرتبطة بربيع كل عام، وفي أوائل شهر حزيران الحار ويدعونها "صلاة أتسو" وهي تعتمد على الاجتماع حول ضريح حجري لأحد الأسلاف الميتين بالصاعقة كحلقة كبيرة ليقوموا بالرقص على الأنغام التقديسية لروح هذا الفقيد، ومن ثم يقومون بأخذ حجر من هذا الضريح ويرمونه في النهر وبعد ثلاثة أيام يعودون لأخذه إلى مكانه، وإذا لم يتم هذا الأمر ستغرق الدنيا بالأمطار، ويترافق مع هذا الطقس توزيع الطعام والذبائح والخمر القديم، وهناك للحالات الطارئة ــ مثل تأخر المطر ــ صلاة خاصة وطقوس مرافقة، وهي طقوس تقوم بها النساء فيصنعن دميةً من القش المغطى باللباس على مجرفة للحقل وتُدعى "خاتسيه ــ غواشيه" الأميرة المجرفة، فتمرُّ النساء من أمام البيوت ليسكبون الماء على الدمية ومن ثم يذهبن ليلقين بها في النهر، وإذا صادف والتقين برجلٍ أمسكن به ورمينه في الماء، وبعد ثلاثة أيام يعدن لأخذها وتكسيرها إلى العام القادم.

***

ـ ثانيًا ـ شعوب السلافيين القدماء:

إن المعرفة التي وصلتنا عن الديانة السلافية القديمة وقبل وصول المسيحية ليست متوفرة بما فيه الكفاية، لأن أنظار الباحثين وعلماء الدين والمعتقدات القديمة لم تتوجه إليهم قبل القرن الثامن عشر، وهذا بعد بزوغ فجر الوعي القومي لدى الشعوب السلافية، وتحقق فيها نسيان العادات والتقاليد القديمة لتندمج بالمسيحية بشكلٍ متوازن، ولم يتبقَّ سوى القليل من العادات والطقوس الشعبية ذات الارتباط الدائم بتلك المعتقدات.

ولذلك نجد التأليف في هذه الديانات ميّالًا إلى الرومانسية الخيالية أكثر من ميله إلى الواقعية العلمية البحثية، ولهذا بدأ البحث ضمن خطة لجمع المصادر الحقيقية لهذه الحقبة الدينية، فكانت مصادر المعتقدات السلافية ما قبل المسيحية تعتمد على:

1 ـ المعلومات المدوّنة كتابيًّا والتي لها علاقة بهذا الدين ما بين القرن السادس والقرن الثاني عشر.

2 ـ المكتشفات الأثرية.

3 ـ بقايا المعتقدات والطقوس القديمة التي بقيت محفوظة في العقول المتتالية.

لم يكن السلافيّون القدماء تحت راية الوحدة الاجتماعية والدينية، ولا حتى في التاريخ السياسي والاقتصادي، وبالكاد تمكنوا من إيجاد آلهة موحدة لهم في أغلب الأحيان. وعلى ما يبدو أن كل قبيلة كان لها عبادتها الخاصة وطقوس معينة بالأدوات والتراتيل، ومن الطبيعي أن نجد نقاط التقاء فيما بينها ولو بشكلٍ جزئي.

حافظ نظام العشيرة ـــ الأسرة على وجوده زمنًا طويلًا، ويرتبط هذا النظام بالعبادة الجنائزية، حيث أنه في كافة المناطق التي كانت تحت وطأة القبائل السلافية عُثر على عدد كبير من المدافن القديمة وشواهد القبور، فكانت الطقوس الجنائزية غريبة ومتنوعة، من باب كانت تُحرق جثة الراحل بالأخشاب، وأحيانًا تحفظ مدة طويلة ثم تُدفن بالتراب وتوضع الشواهد الكتابية فوقها، وهناك أيضًا حرق الجثة في قارب ضمن نهرٍ جارٍ. وعند الأعيان تُذبح الخيول أو العبيد والزوجة أيضًا مع بعض الحوائج لترافقه إلى الجنة ـــ لأن العالم السفلي هو لحرق الأرواح الشريرة فقط ـــ فكانت العلاقة بين الموتى

والأحياء جدلية غريبة، حيث قسّم السلافيون الأموات إلى نوعين: النوع الأول هم من ماتوا إثر الشيخوخة أو مرض، أي موت طبيعي ويطلق عليهم اسم "الأهل" والنوع الآخر هم الذين ماتوا نتيجة القتل أو العنف أو السُّكر الشديد أو الانتحار ويُطلق عليهم اسم "المدفوسون" والأهل أطهار والمدفوسون أشرار، لذا يُعتبر الأهل هم حماة البيت والأسرة، والمدفوسون أشرار قتلة يجب إرضاؤهم لتجنّب أذاهم.

وإلى جانب هذه الأنواع من الطقوس والعبادات للموتى بشقّيهم، كان هناك العبادة المشاعية ــ الزراعية، وهي جماعية ترتبط قبل كل شيء بالعمل الزراعي وكانت أغلبها لها علاقة بالانقلاب الشتوي للشمس "دورة سنوية جديدة" وهناك موائد احتفالية تُعد بعد موسم الحصاد، ومترافقة مع طقوس سحرية تتم بانتهاء الحفل السنوي كدفن بيضة في أخدود في الأرض وغيرها من الطقوس السحرية المرتبطة بالآلهة أولًا، فأسماء الكائنات الميثولوجية هي لحماية العمل الزراعي باعتباره الدخل الأساسي والوحيد لهم، وقد احتفظت المصادر الكتابية بأسماء آلهتهم مثل: آلهة الشمس والصاعقة: بيرون، وإله القطيع: فولوس، والآلهة المؤنثة: موكوش، وكانوا يعتبرون الشيطان "إبليس" إله من نوع خاص ــ وهذا بعد المسيحية ــ وكانت الكلمة "بِس" تعني ما هو خارق ومخيف ومؤذي، وأصبحت هذه الكلمة تحمل معنًا موازيًا لمعنى الشيطان.

وأغلب الظن أن قدماء السلافيّون آمنوا بوجود إله للموت والشتاء، وهو بتشخيص ظلام وبرد الشتاء القارس، وهناك اعتقاد عن وجود بداية مضيئة وبداية مظلمة أي الثنائية الكونية وهي بمصطلح "كرت ـــ سرت"، حيث بقيت إلى وقت قريب موازية للفكر الديني لديهم.

***

ـ ثالثًا ـ دين الكِلت الأقدمين:

ما توفر لدينا عن دين الكِلت الأقدمين كان نادرًا وقليلًا جدًا، ولكن بدأت الملامح الأساسية تتوضح عن هذه العبارة في القرن الأول قبل الميلاد، أي لحظة اصطدامها بالحضارة الرومانية العريقة وقتها. وقد جرى العمل على اللقيات الأثرية عن العصر الروماني من التماثيل والنقوش المتنوعة والفريدة، ومن ثم على جميع المؤلّفات المكتوبة في العصور القديمة. وسنأخذ في حسباننا انهيار جميع الديانات المحلية القليلة بعد عمل الرومان على ترويم الشعوب التابعة لها تحت حدِّ السيف.

في العصر الذي تميز باتصالٍ وثيق العُرى بين الكلتيين "الغال" وبين الرومان ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والثالث الميلادي، كان المجتمع الكلتي يعيش فترة تطور عُرفت بنظام العشيرة، وهذا النظام

هو على عتبة الانتقال إلى التشكيلة الطبقية، أي درجة أعلى من التطور التاريخي عمّا كان عليه الألمان القدماء "السلافين"، وموطن الكلتيين الأساسي هو شبه جزيرة البيرينيه وبلاد الغال "فرنسا" والجزر البريطانية، وكان الصراع في بلاد الغال في أشدّه، حيث قامت الحروب فيما بين القبائل الكلتية مثل: الألوبروغ، الهلفستيين، السكوان، الآرفينيين، الأدويين، التريفير والنيرفين. وحدث في أواسط القرن الأول قبل الميلاد أنه اتحدتْ القبائل الكلتية تحت راية واحدة، ثم خرجت من هذا الاتحاد القبائل الأرستقراطية السلالية لتشن الحروب المتتالية بغرض إخضاع الجميع تحت حكمها المباشر.

وبعد أن وُجِد البناء الأرستقراطي الحربي ــ العشائري انحصرت أمور العادات الدينية كليًّا في أيدي المختصين من رجال الكهنوت والذين عُرفوا باسم "درويديون"،وقد شكّلوا إلى جانب الأرستقراطية الدنيوية قمة الديانة الكلتية صاحبة الامتيازات والتأثيرات، إذ كان لهؤلاء الكهنة تنظيم يعم القبائل كلها لتشمل بلاد الغال بأجمعها، حيث كانوا يجتمعون في كل عام كاجتماعٍ استشاري يُعقد في المركز الديني العام لبلاد الغال، ويتم انتخاب الكاهن الأعلى من بين المجتمعين، وكان الكاهن وأتباعه يقدمون القرابين دون الشعب أما السحرة والمشعوذين كانوا كتبة لهم فقط، ويمكن للنساء أن تصبحن دوريديات.

وقد اتسمت عبادة الكلتيين هذه بالقساوة والوحشية، حيث جرت عادة تقديم القرابين البشرية المرتبطة بنظام العرافة والكهانة، وكان الطقس القرباني مرتبط بشجرة البلوط وشجرة العليق حيث يدل هذا على فكرة انتقال الروح وعودها.

***



أديان آسيا الوسطى

أولًا- أديان اليابان:

تنقسم الديانة اليابانية إلى قسمين، سادا في اليابان منذ القديم وهما: السينتوية والبوذية.

- الديانة السينتوية:

هي ديانة محلية صافية، أمّا البوذية قادمة من خارج الحدود اليابانية، وكانت العلاقة المتبادلة بين الديانتين صعبة المراس، فنشأت العلاقات بصعوبة بالغة، والمراجع الميثولوجية القديمة شحيحة للغاية ولا يمكننا الاعتماد عليها، والقصص الأسطورية وصلتنا من خلال المدوّنات التاريخية اليابانية المقدسة "كودزيكي، نيهونسيوكي، ناهونغي" التي دُوّنت في القرنين السابع والثامن الميلاديين.

ونظرية التكوين حسب الكهانة اليابانية شبيهة بنظريات التكوين في الديانات المشرقية كلّها، حيث جاء فيها ــ وسنذكرها باختصار ــ في البدء كانت السماء والأرض، وقد قامتا أولًا بتوليد ثلاثة من الآلهة، ثم اثنين، وبعد ذلك خمسة من الآلهة الواحد إثر الآخر، ولكن هذه الآلهة تمثلت لدى القدماء من اليابانيين بصرف الانتباه واللهو، ولم تكن مادة للعبادة أصلًا، وكان لآخرِ زوجٍ من الآلهة أسماء وتماثيل محددة، وهما الزوجان الندّان "إيدزاناغي وإيدزانامي" وهما رمز للثانوية الكونية في هذه الديانة، إذ يمثل إيدزاناغي خالقًا ومعلمًا خلق البداية الأولى، وبسط الأرض وأقام الجزر اليابانية بعد أن وقف مع زوجته فوق الجسر السماوي وشق البحر برمحه الطويل، ومن ضربته لماء البحر ظهرت أول الجزر اليابانية وتبعتها باقي الجزر بالطريقة نفسها، وأكمل عمله بخلق الشمس من عينه اليسرى فقط، وتدعى آلهة الشمس "أماتيراسا" وهي من أكثر الآلهة اليابانية عبادةً، وتعتبر أيضًا ربّة سلف أباطرة اليابان وأولهم الشخصية شبه الأسطورية التي ترتبط بالقرن السابع قبل الميلاد "وديمو ــ وتينو" وقام بعدها إيدزاناغي بإيجاد آلهة آخرين للقمر والعاصفة والريح، وتقول الأسطورة عن صراع وقع بين أماتيراسا وزوجها المتقلب إله العاصفة "سوسا ــ نو ــ فو" وألحقت به هزيمة نكراء طُرد على أثرها من السماء إلى الأرض إلى مقاطعة "إيدزومو"، وهي المركز الرئيسي لعبادة إله العاصفة حيث تقع في الجزء الجنوبي من جزيرة هونسيو،

وهذه الأرض هي مركز صراع للقبيلتين "كيوسيو وإيدزومو"، حيث استوطنت هاتان القبيلتان في هذه الجزيرة معًا ومنذ زمن غائر في القدم.

والأساطير التي تحدثنا عنها وهناك غيرها الكثير ليست إلّا انعكاسًا للنظام القبلي ــ العشائري الذي كان سائدًا في ديانة اليابان القديمة إلى اتحاد البلاد في القرون الأولى الميلادية، حيث كانت تبدأ الديانة اليابانية من تقديس الأرواح، بدءًا بأرواح الموتى والأسلاف ومن ثم أرواح العواصف والأرض والسماء، حيث تتحد كلها في الرمز الأسمى "كامي" وتعني الأعلى، وأيضًا لا نتجاهل وجود الحيوان الطوطمي وهو "الثعلب، القرد، الغزال" واحتفظوا في الأماكن المقدسة لديهم أيضًا بـــ "فيتيشات" كرموز للآلهة، كما كانت طقوس السحر الزراعي "الفلّوسية" أي تقديس الإخصاب التي كانت تُمارس من قِبل المنجمين ــ أوراييه، والرقاة ــ إيمي ييه، الذين تميّزوا عن المجتمع بشكلٍ كامل.

***

ـ الديانة البوذية:

مع بداية تشكيل دولة اليابان المركزية في أواسط القرن السابع الميلادي " انقلاب تايكا " عام 645 أخذ أباطرة اليابان ومنهم "تينوّ ومن ثم ميكادو" بدعم البوذية الوافدة لتعزيز نفوذهم وتثبيت سلطتهم والتي دخلت اليابان بعد أن بدأ المجتمع الياباني بالتطور البنيوي، وقد تدفّق هذا التغيير بدخول القادمين من كوريا للاستقرار في اليابان، وفي المرحلة المعروفة باسم "نارا" في القرن الثامن الميلادي تحولت البوذية إلى ديانة شديدة المركزية لدولة اليابان، حيث سمّاها اليابانيون "ديانة بوتسو" ودُعي كهنتها ورهباها باسم "بودزو" ومنها جاءت كلمة "بونزا".

في الفترة الأولى من دخول البوذية، تعرضت الديانة السنتوية إلى ضغط شديد، فكان الكهنة ينتمون إلى منظمات سرية أو طائفة وراثية مغلقة، واقتداءً بالمعابد البوذية بدأت السنتوية بإنشاء معابدها الخاصة

البسيطة حيث لم يكن لها أماكنَ عبادةٍ من قبل، فأخذ السنتويون بصناعة صور وتماثيل للآلهة السنتوية، وبعدها بدأت الحركات التدريجية للتقارب بين الديانتين، فأخذت المعابد البوذية تُخصص قسمًا داخليًّا فيها للسنتوية، وكذلك السنتوية، وكما بدأت أيضًا بإحراق الجثث ــ وهذا التقليد جاء من البوذية ــ بعد أن كانت تدفنها في أبنيةٍ صغيرة حتى إنه بدأ الدمج بين كامي وبين الآلهة البوذية، وفي القرن التاسع ظهرت الطائفة الدينية "سانّو" وكان هدفها توحيد الدينين ضمن وعاء واحد، ولم يتبقَّ في اليابان من يُدين بالسنتوية فقط أو بالبوذية فقط إلّا النادر القليل من كبار السن.

***

ـ ثانيًا: أديان الصين:

الديانة الصينية القديمة: بدأ في العام 1899 قرب قرية "سياوتون" العثور على اللقيات الأثرية المرتبطة بالديانة الصينية القديمة، حيث تعود أقدم المصادر الأثرية والمخطوطات المتعلقة فيها إلى الألف الثاني قبل الميلاد، في زمن الأسرة المالكة آنذاك "شان ــ إين" فقد عُثر على أكثر من مائة ألف قطعة من العظام منقوش على ثلاثين بالمائة منها أحرف هيروغليفية صينية قديمة، تتعلق بالحيوانات الطوطمية وهي: السنونو، النمر، الأفعى، اللقلق... وعن عبادة الخصب والزراعة والمجمع الإلهي "البانثيون الصيني" وعبادة الأسلاف وتقديس الأرواح وغيرها من الرموز والطقوس الدينية القديمة الشاملة.

الأديان الرئيسة والأساسية العريقة في الصين هي: الديانة التاوية "الدواسية"، الكونفوشوسية، البوذية، الشاملة. وهي التي سادت منذ

الألف الأول قبل الميلاد، وتميزت هذه الديانات بشكلها العمومي وبانتشارها الواسع بين الطبقات العامة والأسر الإقطاعية الحاكمة والتي توالت على حكم مقاطعات الصين الشاسعة.

***

- التاوية "الدواسية":

وُضعت تعاليم هذا الدين وقواعده على يد الفيلسوف شبه الأسطوري "لاو ـــ تسو" ومعناه حرفيًّا "الفيلسوف الشيخ" الذي حكت عنه الأساطير أنه كان يعمل في مكتبةٍ ملكية ـــ مديرًا للأرشيف ـــ وعندما انتهى من تدوين هذه التعاليم اختفى ولم يره أحد من وقتها، وترجّح بعض الروايات اختفاءه لضيق صدره من الفساد الإداري المنتشر في الدولة. وبعدها جرَتْ صياغة أقواله وتعاليمه في كتابٍ يُعتبر مهمًّا بالنسبة للناحية الفلسفية الروحية والتطور في الشكل الديني الأساسي، وسُمي هذا المؤَلف أو الكتاب باسمه المعروف "تاو ـــ تي ـــ تشينغ"، وهو كما ذكرنا مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة وتعاليم ومقاطع من الحكمة القديمة المبهمة والغامضة، والفكرة الأساسية في فلسفة لاو ـــ تسو هي فكرة "التاو"، وتعني هذه الكلمة حرفيًّا باللغة الصينية " الطريق " ولكن بعد التعمق في هذه التعاليم التاوية أخذت كلمة تاو معنىً أعمّ من الطريق، حيث أصبحت تدل على نمط حياتي وأسلوب ومبادئ، وتمّت

المقاربة بينها وبين المفهوم اليوناني القديم "لوغوس"، وقد عمل بعض العلماء الصينيين على الربط بين فلسفة لاو ــ تسو وبين المادية في تعاليمه، فالمفهوم "تاو" يمكن أن يُعتبر الطريق الموضوعي، والبعد الآخر هو الفكر الميتافيزيقي في الفلسفة، ومن هذه الجدلية التناقضية نشأت فكرة دائرة "يانغ ــ يونغ" أي دائرة الأبيض والأسود، والخير والشر، والظلام والنور، الأنثى والذكر... فإن تعاليم دائرة اليانغ واليونغ تقودنا إلى الاعتراف المنطقي بالفلسفة الثنائية وعدم التفكير بالمطلق أبدًا، فلا يوجد شَرٌّ محض أو خير محض، لكل شيء متضاد لهُ ونقيض وند ولا تكتمل هذه الدائرة إلّا بالتقاء الندّين، فتكون الحياة منطقية وموافقة لرأي الحكمة الكونية في أن التّضاد هو التكامل الحقيقي، ومن المميز في حِكَم وأمثال لاو ــ تسو القصص التي كان يطرحها ضمن سياق الكتاب، فهذه الأمثال على الرغم من بساطتها إلا أنها جمعت الشمولية والكمال في هدفها ومحورها، ومنها: كان هناك فلاحاً يعمل في الأرض فهرب حصانه، أتاه كل من في القرية ليواسوه على مصيبته فقال لهم: لعله خيراً، ولعد أيام جاء الحصان ومعه مجموعة أحصنة برية، فأتوا أهل القرية ليباركوا له بثروته الجديدة فقال لهم: لعله شراً، وقام ولده الشاب بترويض الأحصنة فسقط وكسرت رجله، فجاؤوا أهل القرية لمواساته في مصيبته فقال لهم: لعله خيراً، وبعد فترة جاء الأمر الإمبراطوري بأخذ الشبان إلى الحرب وارتاح ابنه من الخدمة العسكرية بسبب كسر رجله. ومن

هذه الأمثلة الكثير الغني بمعناه الفكري والفلسفي الروحي والأخلاقي العميق.

***

ـ الكونفشوسية:

عاصرت مرحلة ظهور هذه التعاليم المرحلة التي ظهر فيها دين التاو، حيث انتشرت المؤلفات إلى جانب الكتب التاوية، وكانت تعود هذه المؤلفات إلى الفيلسوف الصيني "كون ــ تسي" أو كونفوشيوس، ويختلف هذا الأخير عن غيره من مؤسسي الأديان أنه كان موجودًا بالفعل، وكان شخصية بارزة في إمارة "لو" وعاش في الفترة بين 551 ـ 479 قبل الميلاد، وتختلف الكونفشوسية مع التاوية اختلافًا جذريًا، فإن فلسفة لاو ــ تسو فلسفة روحية، أما فلسفة كون ــ تسي فهي فلسفة عمل وظيفي مبرمج لخدمة السلطة البيروقراطية، وتتألّفُ التعاليم الكونفشوسية من:

1ـ الكتب الخمسة "أو ــ تزين": حيث تُعتبر هذه الكتب الكلاسيكية القانون الأساسي للدين الكونفوشوسي، إذ تتألف من الكتب التالية: الكتاب الأقدم بينها هو كتاب التحول " إي ــ تزون " وهو عبارة عن صيغ سحرية وتعاويذ، والكتاب الثاني هو التاريخ القديم " شو ــ تزين " وهو تاريخ الأباطرة الأسطوريين مع بعض تعاليم الدين، الثالث هو كتاب نشيد الإنشاد "شي ــ تزين"، وهو

مجموعة من الأشعار القديمة ومواضيع كونية ميثيولوجية إضافة إلى أناشيد دينية خاصة بالطقوس الدينية وتقديم القرابين، الكتاب الرابع هو كتاب المراسم "لي ـ تزي" وهو سجل لعدد هائل من الطقوس الدينية وغير الدينية، والكتاب الخامس والأخير هو كتاب الربيع والخريف "تشون ـ تسيو" وهو سفر تاريخي لأحد الإمارات القديمة، مكثّف ومختصر ولا يتعلق بأي فكرة دينية.

2 ـ الكتب الأربعة "صي ـ شو": الكتاب الأول هو كتاب المذهب العظيم "دا ـ سيو ـ ي" وهو حول تعاليم بلوغ الإنسان والكمال المطلق، والكتاب الثاني هو كتاب حول الوسط "تشجون ـ يون"، وهو حول مراعاة الوسط في كل الأمور وعدم التطرف بأي تصرفٍ فكريّ أو ماديّ، والكتاب الثالث هو كتاب حكم وأمثال كونفوشيوس وتلامذته "لون ـ يوي"، والكتاب الرابع هو كتاب التعاليم "مين ـ تزي"، وهو أحد تلامذة كونفوشيوس وآخرهم تقريبًا.

ويُعتبر الدين الكونفوشيوسي دينًا ذا ميزاتٍ خاصةٍ، وهي احتواؤه على فكرة البعث بعد الموت، وفكرة ما وراء الطبيعة والأرواح وتعاليمَ عن العالم الآخر، وكان كونفوشيوس يؤدي الطقوس الدينية بنفسه دون انقطاع، وتمّ تأليهه بعد موته، حيث بلغَ عددُ المعابد المُعَدَّة لعبادته في الصين حوالي 1500 معبد، وتميّز هذا الدين بالتنظيم منذ

206 قبل الميلاد إلى 220 ميلادية، حيث تبدو بالنهاية العبادة الكونفشوسية الصورة التطبيقية للنظام البيروقراطي الحاكم والذي أخذ على عاتقه تأدية الطقوس الدورية له، وهذا ما ثبّته لدى الشعب الصيني لأن هذا التثبيت لا يحتاج سوى الحزم للقوانين والأوامر القديمة.

***

ـ البوذية:

ظهرت البوذية إلى جانب الديانتين السابقتين بشكل كبير وواسع الانتشار، على الرغم من أنها دخيلة على الثقافة الصينية، حيث كان الصينيون يدعونها "تعاليم فو"، إذ إنها ظهرت للمرة الأولى في الصين في القرن الأول الميلادي، ولكنها لم تُثْبُتْ وتلاشت بعد فترة قصيرة لتعود إلى الظهور في القرن الخامس الميلادي، فشغلت المركز الثالث في الديانة الصينية على الرغم من المضايقات التي كان يتعرض لها رهبان البوذية من قبل الحكومة من حينٍ لآخر، وتقام الطقوس الدينية البوذية بشكل ملازم للطقوس التاوية والكونفشوسية ــ ربما بفعل الصدفة المصطنعة ــ ويجري العمل على طلب الخدمات من الرهبان مع العلم بأنهم لا يتمتعون بشعبية واسعة بين طبقات الشعب وخصوصًا ما يتعلق بطقوس الموت والجنازة، وهذا ما دفع كبار الرهبان في البوذية من الخروج خارج الحدود الصينية إلى كوريا

واليابان، وذلك للحفاظ على الرهبة والوقار الديني لحاملي التعاليم البوذية بين الطبقات كافة في المجتمع الحاضن لهذه الديانة وتعاليمها.

ـ الشّامانيـة:

وُجدت الشامانية في عصر حكم الأسرة "الملكية المنشورية" 1644 ـ 1911، وهي ديانة قديمة أيضًا إلى جانب الأديان الثلاثة، وكانت العناصر الشامانية تتبع للعبادة التاوية جاء بها الفاتحون المنشوريون إلى الصين ووحدوا النظام القبلي ـــ العشائري والتعاليم التاوية، فتحولت إلى عبادة رسمية في البلاط الملكي الحاكم، وكانت دقيقة، ولها ميزاتها الخاصة التي تقضي بإجراء طقوس شامانية محددة في أيامٍ محددة، وهي تترافق مع تقديم القرابين في القصر، حتى إنه صدر قانون بإحداث وظيفة رفيعة المستوى وهي "مساعد شامان" في بكين العاصمة، وهذا يؤكد أن الشامانية كانت تعدُّ – ولا تزال – تنظيمًا سياسيًّا اجتماعيًّا يقوم على تعبئة الشخصيات الحساسة في الدولة والمجتمع للعمل على إخضاعها تحت الحكم المباشر للقصر الملكي بعيدًا عن سياسة المد والجزر بين طبقات الشعب التي تدين بكل أطيافها لهذه الشخصيات، والتي أصبحت حارسًا لا تنام عينه على أفكار الشعب وتصرفاته.

وبعد ثورة عام 1911 في الصين، حدثت تغييرات جذرية للمؤسسات الدينية جميعها، حيث توقفت الخدمات الدينية في معبد

السماء، وتمّ الفصل بين المؤسسة الدينية والدولة، كما أُلغي النظام الكونفوشوسي للامتحانات الحكومية، وأيضًا توقفت دراسة الكتب الكلاسيكية الكونفشوسية في المدارس، وبعد ثورة "تشان كاي ــ تشي" عام 1927 اتُّخذت مواقف رجعية من هذه القضية، وأخيرًا بعد إقامة نظام الديمقراطية الشعبية لم تعد الديانة في الصين نهائيًّا ديانة رسمية للدولة ــ بما فيها الكونفشوسية ــ وتوقفت الطقوس والاحتفالات الدينية والرسمية وتحولت المعابد القديمة إلى متاحف باعتبارها آثارًا هندسية قديمة مثل "معبد السماء" في بكين، وتوقف الاحتفال بيوم ميلاد كونفوشيوس والذي أتمَّ 2500 عام سنة 1949، لكن في الوسط الريفي المتخلف بقيت الديانة حاضرة في الحياة اليومية، ومع قيام دولة الصين الشعبية العظمى، وفي مجرى الحروب الأهلية ضعفت الجذور الدينية الأساسية وأصبحت المعابد مدارسَ حكوميةً وتمّت إزاحة تصاوير وتماثيل الآلهة بشكل نهائي إلى المتاحف الكبيرة الرسمية.

***



أديان الهند

بدأت الدراسات الجمعية عن الحضارة الدينية الهندية في العصر الحديث ــ القرن العشرين عام 1922 من قبل العالم الهندي "بانيرجي" حيث أكدت دراسته ودراسة العالمان الإنكليزيان "مارشال، ماكيه" أن الأوابد الخالدة للحضارة الدينية الهندية تمتد منذ الألف الثالث ــ الثاني قبل الميلاد، وهي تدل على ثقافة وحضارة موهندجو ــ دارو التي تعتبر حضارةً متطورة بُنيب على الزراعةِ المتطورة والتعدين المتقدم للبرونز، والكثير من الحِرف المدنية، وترافق أيضًا وجود كتابة أولية ما زالت بعض رموزها مغلقة، إلى جانب التشييد البنائي الحجري الضخم، وهناك الكثير من الأختام المصنوعة من حجر الستياتيت بنقش حيواني أغلبه الثور البري والنمر والفيل ووحيد القرن، وهذا يؤكد لنا فكرة بسيطة عن الطوطمية الحيوانية،

وهناك آثار تتعلق بعبادة الأشجار، وفي اللقيات الأثرية صور لنساء ورجال لديهم قرون وثلاثة وجوه.

وينقسم تاريخ العبادات الهندية إلى ثلاث مراحل تاريخية وهي: الفيدية، البراهمية، الهندوسية. وسنقوم بعرض كل مرحلة على حدة ضمن هذا البحث.

***

ـ أولًا: المرحلة الفيدية:

تتميز ديانة المرحلة الفيدية بالبساطة وعدم التعقيد، فكانت تتمحور حول مركز القرابين وتقديمها، وكانت الآلهة لدى هذه المرحلة كثيرة ومتنوعة تجسد الشمس والقمر وظواهر الطبيعة، ولا ضير من تقديم القرابين لها في أي مكان مكشوف لعدم وجود أماكن عبادة أو معابد قائمة بذاتها، ولكن المميز في هذه التقدمة هو جوهر الشخص المسؤول عن التقاديم والأضاحي، وكان من السهل انتقال أحد الآلهة ليشغل منصبًا آخر غير منصبه ومكانه، والأرجح أن أغلبها كانت في البداية آلهة قبيلة محلية.

كان عدد الآلهة في الهند بمرحلة الفيدية تقريب 33 ولكن ذُكر بأكثر من مرجع عن عدد هائل يتراوح بين 3000 ـ 3399 إله، وهناك صعوبة في تحديد أسماء الآلهة الرئيسة، ويمكن اعتبار إندرا" هو

الإله الوحيد الذي يتميز بعراقته وقدمه، فقد كانت شعبيته منتشرة بشكل عام، حيث كانت الأناشيد الدينية له تعد بقرابة 250 إنشاد ديني، وهو موصوف بأكثر من نشيد كإله الرعد، وإله سماوي عظيم، وكمالك للشمس والنور، وقد جرى تشخيص السماء في صورة إله آخر هو الإله "دياوس" وهو قريب من الاسم اليوناني "زيوس" ومن الاسم الروماني "جوبيتر" واقتران النموذجين فارونا وإندرا يجعل منهما "باراجانيا" وهو تشخيص السحب الماطرة والصواعق ــ آمر المطر وإله الخصب. وإله العالم السفلي هو الإله "ياما" وتقول أسطورته إنه أول إنسان مات لذلك تحول إلى إله العالم السفلي، ولم تكن الميثولوجيا الفيدية تتحدث عن العالم السفلي إلا بشكل باهت وذلك لتوجه العبادة إلى الحياة والنعيم فقط.

ويتقدم في الميثولوجيا الفيدية رتل كامل من الآلهة المتنوعة لتشخيص الشمس، وأكثرها ظهورًا هو الإله الشمسي "سوريا"[2] الذي يعني الشمس، وهناك التشخيص الآخر "سافيتار" ويعني الناهض ــ المُحيي، والإله الثاني "بوشان" وهو لُظى الشمس وحامي القطيع، والإله "ميترا" قريب من مجموعة الآلهة الشمسية وغامض بعض الشيء وقد اعتُبر صديقًا للبشرية والمخلوقات أجمع، ومدافعًا عنهم، وأخيرًا

---

[2] المرجح أن يكون الاسم "سوريا" أطلق على الأرض الممتدة على السواحل المتوسطية الأسيوية باعتبارها بلد الشمس لدى الفينيقيين.

جاء "فيشنا" ليصبح رمزًا للديانة الفيدية وحاكمًا لها، وتنقسم الآلهة الفيدية إلى قسمين متناقضين كليًّا يعادي أحدهما الآخر، وهما: الآسورات والعذراوات، ومن المرجّح أن القسم الأول كان المادة القديمة والأساسية للعبادة، وهي الكائنات الصالحة الراعية، وأصبحت في الأزمنة المتأخرة أرواحًا شريرة، واعتبرت العذراوات أيضًا أرواح الشر، ويخوض إندرا الحروب ضدّها، وهذا تجسيد لصراع قبائل الآريين وقبائل الدراويدين المحلية فوق أرض الهند.

ولعبادة الأسلاف أيضًا نصيب من العبادة الفيدية، فقد سُميت عبادة الأسلاف عندهم باسم "بيتريس ــ بيتار" وتعني الآباء، وهي انعكاسٌ للحياة القبلية ــ العشائرية، وكانت تُقدّم القرابين إلى الأسلاف والآلهة معًا، ولكنها قرابين غير دموية وتقتصر على الخمر والحليب والزبدة والعسل وما شابه ذلك مرفقة بأناشيدَ وتعاويذ تُتلى بشكل إرغامي على الجميع.

***

ـ ثانيًا: المرحلة البراهماتية:

بدأت في أوائل الألف الأول قبل الميلاد حركة تبدلات جديدة طرأت على حياة شعوب الهند الاجتماعية، وكانت هذه التبدلات هي حركات السيطرة وبسط النفوذ الآري على الأراضي الهندية، حيث أخضع الآريون لسيطرتهم حوضي الهندوس والغانج ليأسسوا فيها بعض الإمارات القائمة على نظام الرّق الاستبدادي المبكر، وأخذ الآريون بالانتقال من الحياة غير المستقرة إلى حياة الرعي والزراعة والاستقرار السكني ــ وذلك لتأثرهم بالسكان الأصليين ــ وبعدها بدأ الصراع الشديد بين الوافدين وبين قبائل "الدراويديين والمونديين" ولقد شغلت المركز الأول في هذا الصراع دولة "ماغاهادا" في أسافل نهر الغانج، والذي أصبحت نقطة ارتكازية لتوحيد كلّ أجزاء شمالي الهند تقريبًا، وامتدَّ هذا الصراع طيلة أواسط الألف الأول قبل الميلاد.

نشأ في هذا الزمن النظام الطائفي ــ الطبقي في الهند، ليشكل سمة الحياة الاجتماعية، حيث عُرف عن هذا النظام أربع طبقات اجتماعية كلاسيكية سُميت "السنسكريتية" وهي:

1 ـ البراهمية: وهي المركز السيادي الأول في دول شمالي الهند، حيث تشكّلت طائفة وراثية اختصت بالكهنوت ومقدمي القرابين وسادة الفيديات المقدسة، فكان لهم الوزن الاجتماعي والديني.

2 ـ الكشاترية: وهي طائفة مؤلفة من المحاربين والتي انبثق عنها الحكّام والملوك والأمراء.

3 ـ الفايشية: وهي طائفة المزارعين والرعاة والأحرار والتجار بين السكان والذين ينتمون للأسس الآرية الغازية وتُعتبر هذه الطبقات الثلاث من الطبقات النبيلة.

4 ـ الشودرية: وهي طائفة العبيد عديمي الحقوق والتي تكونت من أحفاد سكان الهند الأصليين حيث يعتبرون الخدم.

والقانون البراهمي نشأ في القرن الخامس قبل الميلاد حسب التأريخ لهذه الديانة، وقد عُرف هذا القانون باسم قانون "مانو" وهو طائفة التشريع الأسمى في الحياة البراهمية، حيث ورد في هذا القانون عن البراهمي التالي: إن البراهمي الذي ولد ليحمل كنز "دهارما" القانون المقدس، يشغل أسمى مركز فوق الأرض لاعتباره مالك كل هذه الموجودات، وكل ما في الكون هو ملكه الخاص، حيث لا يأكل البراهمي إلا ما هو له ولا يحمل إلا ما يخصّه أمّا الناس الآخرون فيعيشون تحت رحمة البراهمي وعطفه، والعمل الوحيد والأسمى للبراهمي هو تعلّم الفيديات ودراستها وتعليمها لتلاميذه، وتقسم حياته إلى أربع مراحل بحسب قانون مانو وهي: دراسة الفيديات بتوجيه من معلم أسمى منه، الزواج وإنجاب الأطفال وتربيتهم، اقتناء الأملاك، وأخيرًا التنسُّك والتقشُّف والعيش في الغابة على الصدقات.

في هذا العصر تم إيجاد إله جديد ليشغل المقام الأول في النظام البراهمي وهو "براما" أو براهما الذي نُسب إليه نظام الطوائف، حيث تقول أسطورته: إن جميع الطوائف خرجت من أجزاء جسد براهما، فمن فمه خرجت طائفة البراهمة ومن يديه الكشاتريين ومن وركه الفايشين ومن قدميه الشودريين.

وقد بدأت في هذا النظام بالبروز واحدةٌ من أهم النظريات التي بُنيت عليها الهندوسية فيما تلا، والتي أُخذت من الديانات القديمة ـــ الفيدية ـــ وهي فكرة "التقمُّص" حيث إن التصورات الفيدية القديمة حول الروح بعد الموت كانت لا تزال ضبابية، ولكن في موضع آخر من قوانين مانو كان هناك فكرة عن حقيقة البعث بعد الموت أو انتقال الأرواح، غير أنها منصوصة فقط في الفصل الأخير الثاني عشر، وفي الأجزاء السابقة يوجد حديث عن تعذيب روح الآثمين في جهنم أي العالم السفلي، وحسب التصورات البرهماتية عن فكرة انتقال الروح، فإن روح الإنسان لا تفنى بعد موته، ولكنها تحلّ في جسد مادي آخر، ويخضع هذا التقمص لظروف العمل وردة الفعل، أي إنه إذا كان الخادم من طائفة الخدم مخلصًا في عمله وهو خدمة البراهمية سيولد في أجياله القادمة من طائفة أرفع، والعكس صحيح ومن هنا وُجد قانون "الكارما"، ومعناه السبب أو الفعل والنتيجة، فقانون الكارما قانون معقّد بذاته لانطوائه على أفكار ونتائج غير متطابقة

لكل الناس، ونظرية الكارما تقول: "إن مصير الإنسان في تجسداته القادمة ستكون ردة فعل طبيعية عن سلوكه في تجسده الحالي"، أي إن الإنسان يصنع مصيره بنفسه في كل تقمص مقبل له من خلال سلوكه، وهكذا كانت هذه الفكرة هي الأساس في التعاليم البرهماتية حول التجدد والبعث.

***

ـ ثالثًا: المرحلة الهندوسية:

تتميز السمات الأساسية لهذا العصر، في أن العبادة أصبحت أكثر ديمقراطية، وقد أُعيدت أساليب التأثير في الجمهور الواسع من السكان، ومن هنا ظهرت المعابد العامة للمرة الأولى في الهند، ومن جهة أخرى حدث التبدّل الجذري للآلهة والتصورات الإلهية للمجمع الديني البرهماني، فقد أصبحت الآلهة كغيرها من القوانين شبه شعبية، حيث كانت فيما سبق ترتبط العبادة الإلهية بالبرهماني فقط دون غيره، أما في الهندوسية الديمقراطية أصبح لكل إله موجود في السماء ممثلًا له في الأرض يدعى "أفاتار" والإله الأكثر شعبية بين الآلهة السماوية ــ الأرضية هو الإله المنقذ "كريشنا" وهو واحد من أفاتارات "فيشنا" وله أساطير خاصة بولادته وبعثه مثل البوذا أو السيد المسيح فيما بعد الميلاد بقليل.

أصبح دور القادة الدينيين والذين يدعون "غورو" في الهندوسية عظيم الأهمية، ففي العصور السابقة كان دور الكهنة مقتصرًا على الأناشيد وتلاوتها وتقديم القرابين الدورية، ولكن هنا أصبح غورو ممثلًا شرعيًا عن إلهه وما ينطق به هو قانون ديني بين أتباعه، فقد زادت السلطة للكهنة من وساطة بين الآلهة والبشر إلى ممثلًا للآلهة بذاتها.

***

طائفة السيخ:

في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، وعلى أرضية مناهضة الفتح الإسلامي الجديد، تكونت طائفة ذات ميزات خاصة وهي طائفة "السيخ"، ومؤسسها شخص يُدعى "ناناكا"، وهو هندوسي يعيش تحت التأثير القوي للديانة الفيدية القديمة، وكانت أهمُّ تعاليم دعوته القضاء على التشتت الديني والعمل على جمع الهندوس والمسلمين معًا.

حققت دعوة ناناكا نجاحًا كبيرًا وخصوصًا في توحيد الشعوب التي ناضلت ضد الوجود الإسلامي الحديث، ومن ثم الإنكليز، فانغلق السيخ على أنفسهم في طائفة عسكرية ــ دينية وأقاموا في القرن السابع عشر دولة قوية وسيطروا على منطقة البنجاب في القرن الثامن عشر، وقد بلغ عددهم في الهند عام 1970 حوالي 10 ملايين فرد، ويخضع السيخ لقادهم دون أي اعتراض، فهم السائرون على درب ناناكا وهم مقدسون كما هو الأمر لدى الهندوس، ويُدعى كتاب السيخ "أدي ــ غرانتخ" ومجموعاتهم شديدة التماسك، ويحافظون بصلابة على التقاليد الصارمة من دفع النسبة المئوية من الدخل السنوي لرعايا الطائفة والتقيّد الحرفي باللباس القومي، ولا يقصّون شعورهم ولا لحاهم، ويضعون عقدًا حديديًّا خاصًّا يشير إلى انتمائهم الطائفي المميز.

ديانة إيران المزدكية

تُعتبر الديانة الإيرانية القديمة بشكلها وطُرقها من الديانات المختلفة عن كل ما سبقها وعاصرها من أديان الشرق القديمة، حيث تطورت الأفكار الدينية مترافقة مع طقوسها وتقاليدها إلى حد من التكامل الروحي ضمن المجمّع الفكري فيها، ومما سبب صعوبة في دراسة المصادر التاريخية للديانة الفارسية، هي الحالة المقتضبة التي كانت عليها هذه المصادر، فقد ترك المؤرخ اليوناني "هيرودوت" وغيره من الكُتّاب اليونانيين في تلك الأزمنة معلومات قليلة وشحيحة عن الديانة الفارسية القديمة، والمصادر الأخرى في نقوش الملوك الإخمينيين ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، بيد أن هناك مواد غنية وغزيرة في الكتب والنصوص الدينية القديمة العائدة للفرس

أنفسهم، وذلك في كتابهم المقدس "أفستا" الذي يُعتبر المصدر الرئيسي في دراسة ومعرفة الديانة الإيرانية القديمة.

في القرن السابع الميلادي، وبعد فتح بلاد فارس على يد الإسلام العرب زمن الفاروق سيدنا عمر في القادسية، كان الفرس وسواهم من الشعوب الإيرانية قد دخلوا الإسلام، أما أتباع الديانة القديمة فقد هاجروا إلى غربي الهند وأوروبا، فقد أصبح واضحًا أن الكتب القديمة المقدسة محفوظة لدى هؤلاء المهاجرين من الفرس، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، حتى أنّ هناكَ نصوصًا محفوظةً في جامعة أكسفورد منذ عام 1723 جيءَ بها من الهند ولم يتمكن من فكها أحد بعد، وبالنسبة للكتاب "أفستا" فهو لا ينتمي إلى زمن واحد، إذ هو أجزاء منفصلة في قدمها، وجزآها الأكثر قدمًا هما: غاتي، وكتاب الأناشيد ياسنو، وقد كُتبا بلغة الفرس القديمة "الزندية" وحتى قبل وجود الأسرة الإخمينية الملكية، أمّا الأجزاء الأخرى أو الحديثة فقد كُتبت باللغة البهلوية نصف الفارسية ــ لغة مخاطبة الساسانيين ما بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين ــ وهذه الأجزاء هي: الفينديدا: وهي مجموعة شعائرية للكهنة الإيرانيين. ياشيت: وهي الصلوات.

فيسبيريد: وهي الصلوات للرؤساء، وأحدثها وأهمها في أفستا كلها هو "بونديفيش"، وهو التاريخ الأسطوري القديم لمؤسس الديانة النبي "زارادشت"، والتنبؤ بنهاية العالم، وأفستا احتوت على 21

جزءًا، ولكن من العسير جمعها كلها لندرتها وتفرُّقها بين العائلات القديمة.

يُنسب تأليف أفستا إلى النبي "زارادشت" ذي الصفة الأسطورية، وتعود فترة حياته إلى القرن السادس الميلادي والمعاصر لحياة القيصر "فيشتاسب" على حسب الروي الأسطوري، ويُرجع آخرون زمن حياته إلى فترة أقدم من ذلك بكثير، وليس هناك ما يؤكد وجود هذه الشخصية فعليًا.

الفكرة الأساسية في أفستا أو الزارادشتية هي الثنائية "دواليزم" أي البدايات المضيئة والمظلمة في العالم، حيث يُعترف لكلا الروحين العظيمتين باعتبارهما خالقين متساويين لكل الوجود، غير أن خالق النور وكل ما هو خيّر في العالم هو الإله "أهوارامازدا"، وخلق النقيض وكل ما هو شرير وضار الإله الثاني "أهريمان"، ويدورُ الصّراعُ بين الروحين منذ القديم الأزلي، وهذه الثنائية تبدو ظاهرة غريبة بالنسبة للأديان القديمة، حيث لم يكن لها أي وجود ظاهر في الأديان الهندية واليابانية والصينية، إلا أنها ظاهرة وبشكل بسيط في ديانة مصر الفرعونية وديانة ما بين النهرين، وهي بشكلها هذا منبثقة عن أديان العالم القديم أجمع، ففي الفرغد الأول أي "الفصل" من فينديداد يقوم أهوارامازدا في مخاطبة نبيه زاراداشت ليعدد البلدان التي قام بخلقها — وهنا يعدد ثمانية مناطق مأهولة ومهنتها الأساسية الزراعة — وهذا ما

يدل على أن الصراع بين النور والظلام أي الثنائية الكونية لدى شعوب إيران انبثق عن الصراع بين الرعاة والمزارعين.

وقد أتمت التعاليم الثانوية اكتمالها مع قيام مملكة الإخمينيين أواسط القرن الثالث قبل الميلاد، حيث استولوا على الحكم بانقلاب ديني منظم، فأصبحت المزدكية الدين الرئيسي للدولة، ولكن استقر هذا التمركز الديني بشكله النهائي في عهد دولة الساسانيين من القرن الثالث إلى القرن الثامن الميلادي، حيث أصبح هذا الدين هو الدين القومي في إيران، وقاموا بمحاربة الدين المسيحي "بيزنطة" والدين الإسلامي العربي في وقت لاحق من الفتح الإسلامي.

تعتمد العبادة المزدكية على تقديم القرابين وطقوس الطهارة وتقوية النار المقدسة، وهذا كلّه من مهمات الكهنة الذين احتكروا أوجه العبادة كافة، وأهم طقس هو طقس الطهارة ويتمثل بالابتعاد عن كل ما هو نجس وغير طاهر وخاصة الجثث، حيث كانت تعتبر الجثة نجسة مهما كانت مرجعيتها، ومن هنا كانت طقوس الموت والدفن لدى الإيرانيين غريبة، فإن إبعاد الجثة عن النار والأرض واجب ديني، حيث كانت تترك الجثث في مكان لتصبح طعامًا للطيور الكاسرة والحيوانات المفترسة، ويكون ذلك في مكان يُدعى "أبراج الصمت"، حيث تتشكل من بئر فارغةٍ ترمى الجثة به بعد أن تُعلّق لتتخاطفها الكواسر بسرعة كبيرة وبعدها تسقط العظام في قعر هذه البئر لتكون

تسلية للشياطين القابعين فيه، وما ميّز المزدكية عن غيرها، هو ارتباطها الوثيق بالمنظومة الأخلاقية، حيث يمثّل أهوارامازدا الخير والحكمة وليس إلهًا مُجسّدًا وحسب، وتتطور الحياة الدينية إلى طرح الفكرة الجديدة عن كُلِّ الديانات المشرقية وهي فكرة يوم الحساب، حيث ستقوم مملكة أهوارامازدا بعد القضاء على أهريمان إله الشر على يد المنتظر وهو الذي سيولد من شيطانة وسيخلّص البشرية من الظلام والشر، وتقول الأسطورة: إنه ابن زاراداشت أو شخص تقمّص فيه.

وأخيرًا سنذكر عبادة الإله "ميترا" أي اليقين في المزدكية، والذي اعتبر من الجذور القديمة في أفستا، حيث إنه ذُكر بأكثر من مكان ولم يكن له أي شرح أو شكل تفصيلي، ولكنه يُمثل أحيانًا كمحارب عظيم وقاهر للثور البري الأسطوري،وقد عمل الملك "أرتاكسيركس" على اعتباره آلهةً رسميةً 405 ـ 362 قبل الميلاد، ويوم مولد ميترا يوافق الانقلاب الشمسي الشتوي أي 25 كانون الأول، وهذا يُثبت طبيعته الشمسية، حيث اعتبر في الوقت ذاته المنقذ الأخير للبشرية.

***



أديان شعوب إفريقيا

باعتبار أن إفريقيا جزء كبير من المعمورة وخاصة في الزمن القديم، لا بدَّ لنا من التطرق في حديثنا عن الديانات القديمة على الديانة الإفريقية، حيث يمكن تقسيم شعوب إفريقيا إلى ثلاث مجموعات رئيسية، وهذا التقسيم مبني على أسس تطور اجتماعي ــ اقتصادي، فهناك من السكان الأصليين من يعمل على الصيد أو القنص، وهذا القسم غير متطورة ولا يعرف شيئًا عن الاستقرار الزراعي والمدني أو حتى الرعوي ويدعى "البوشمين وأقزام وسط إفريقيا"، والقسم الثاني هم معظم سكان إفريقيا السوداء، أي المزارعون ومُربو المواشي على كامل خط الاستواء وجنوبه وحوض البحيرات العظمى هناك وهم "الغوتينيون وشعوب المانغو"، وأخيرًا شعوب الحضارات القديمة في شمال وشمالي شرقي إفريقيا، إذًا يرتبط التطور الديني بالإنتاج المادي

المتطور والاستقرار الحيوي، حيث ارتكاز النظام على أسس استقرارية بعيدة عن حياة التشرد الجماعي والصيد والقنص، وسنتحدث هنا عن أنماط الديانات لدى المجموعات الثلاث.

ـ أولًا:البوشمين: إنها أكثر أشكال البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية إغراقًا في القدم، فهي مجموعة غير كبيرة من القبائل التي تعيش على الصيد في جنوب إفريقيا، وقد أدى الاستعمار الهولندي ـ البويري ومن ثم الاحتلال الإنكليزي بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر إلى تدمير قبائل البوشمين والقضاء على ما تبقى منها، حيث كانت قبائل البوشمين موزعة إلى عشائر مستقلة، أغلب الظن أنها قامت على الأسس الطوطمية والأمومية، ويظهر البعد الطوطمي في هذه القبائل في النقوش الموجودة، وفي أسماء القبائل والفروع وفي الأساطير والخرافات التي تقضي بأن بعض الحيوانات تحولت إلى مخلوقات من البشر، وقد آمن البوشمين بالحياة الآخرة وكانوا يخشون الموت بشدّة، حيث رافقت دفن الموتى طقوس خاصة في الأرض، وعبادة الأسلاف هو تطور طفيف على الديانة والتقاليد ولكنه لم يأخذ البعد المحوري في البوشمين، وكانت العبادة المميزة لهم هي العبادة المهنية، حيث كانوا يتوجهون في صلاتهم إلى الظواهر المختلفة للطبيعة وإلى الماهيات الخارقة مثل الزلازل وغيرها، كما عثر الباحثون لدى البوشمين على آثار الإيمان بالسحر والشعوذة وأطعمة محضورة ومحرّمة، ولم يُعرف مصدر تحريمها أو منعها.

والمجموعة الثانية من القبائل الإفريقية المتخلفة هي قبائل الأقزام قصار القامة "البامبوتي" المنتشرة في دساكر حول حوض نهر الكونغو، ومعتقداتهم الدينية لم تكن معروفة إلا في زمنٍ بعيد، وأكثرها هي المرتبطة بالسحر وطقوس الصيد، حيث كانوا يتقيّدون بقواعد الصيد الخرافية وبشكل حرفي، ويقيمون الطقوس السحرية، وموضوع العبادة لديهم هو أحد أرواح الغابة ـــ سيد طرائد الغابة ـــ حيث كانوا يتوجّهون إليها أثناء الصيد وقبله وسُميت هذه الروح "توري" غير أن هذا الاسم مرتبط بآخر يقوم بتنفيذ خوارق الطبيعة، ويؤمن البامبوتي بقوة سحرية تدعى "ميغبيه" باعتبارها صلة الوصل بين الشخص وطوطمه، وهي التي تجعل من الشخص صيادًا.

ـــ ثانيًا: الغوتينيون وشعوب المانغو: حققت معظم شعوب إفريقيا السوداء الجنوبية مستوىً رفيعًا من التطور الاجتماعي والاقتصادي، حيث ارتكزت القوى الإنتاجية الأساسية على الزراعة بالأدوات المعدنية مثل المعول والمجرفة، وقامت نشاطات لتربية الحيوانات الأليفة، وظهرت العديد من الحرف الصناعية مثل الحدادة، وهناك أيضًا علاقات التبادل التجاري، ومن هنا نشأت فكرة المدن غير المكتملة والبلدات الصغيرة نسبيًا إلى جانب القرى المحيطة بالبلدات والمدن، وكان النظام السائد فيها النظام العشائري ـــ القبلي، حيث تكونت بعض العلاقات الطبقية لدى معظم هذه الشعوب.

وأشكال الدين الرئيسة في هذه الفترة وضمن هذه المجتمعات الناشئة، هي عبادة الأسلاف، وكما سبق ولاحظ أكثر الباحثين، الارتباط الملموس بين المعتقدات القديمة والحديثة، حيث تُعتبر إفريقيا هي المكان الكلاسيكي لعبادة الأسلاف هذه، والذي تتصل بكل شكل على الأساس الأبوي ـ العشائري بعد أن كانت الغابة هي المصدر الأمومي لكل العبادة القديمة، ونظرًا لظهور العائلة الشخصية فقد اتخذت عبادة الأسلاف شكلًا عائليًّا، وبعدها تطورت إلى الاتحادات القبلية العسكرية والاجتماعية لتكوّن الدولة البدائية، ليبدأ أيضًا تأليه السلف من الزعماء والملوك.

وعلى الرّغم من العبادة المتطورة، فقد بقيت الطوطمية القديمة محفوظة بمكانتها لدى شعوب إفريقيا، على شكل رواسب من الماضي لا غير، ونشاهد أحيانًا امتداد الأسماء الطوطمية للعشائر الحديثة، ومنع تناول لحم أحد الحيوانات الذي كان طوطمًا فيما مضى، وهذا ما أدّى إلى العبادة الحيوانية التي طوّرت الطوطمية بشكل آخر وجديد، وقد انتشرت عبادة الحيوان "زولاتريا" في إفريقيا بعيدًا عن الطوطمية، حيث كان مصدرها الأساسي الخوف الخرافي من الأذى الذي تسببه الحيوانات المتوحشة آنذاك، فمثلًا كان يحظى الفهد بعبادة خاصة في إفريقيا، وأيضًا عبادة الأفعى فقد وجد المبشر "أونغير" عام 1864 معبدًا حقيقيًّا للأفاعي، حيث كان يحفظ فيه أكثر من 30 نوعًا من الأفاعي القاتلة، وكان كاهنها يقوم بإطعامها وحملها دون أن تؤذيه، وإنّ قتلَ الأفعى بعمدٍ أو بغير عمد يُعتبر من الآثام التي لا تُغتفر للعائلة بأكملها.

ـ ثالثًا: الحضارات الزراعية القديمة: وقد تميزت هذه الديانات بالعبادات الجمعية، وهي عبادة الآلهة بشكل كامل من دون التمييز بينها وذلك لحماية المحاصيل والزراعة، وكانت الآلهة المهمة لديهم مانحة الخصب وأميرة السماء هي "نومكوبولفانا" وكانت الفتيات والنساء المتزوجات يقمن بالطقوس والصلوات على شرفها، وأيضًا كان هناك مفهوم "الفيتيشية" وهي بمعناها "الصنم"، ومن ثَمَّ انتشرت هذه الفكرة لتعمَّ كامل الديانات الإفريقية، وعلى الرغم من وثنيتها فقد اعتبرت الفيتيشية أكثر أنواع العبادات تطوّرًا، حيث يمكن لأي مادة أن تصبح فيتيشًا إذا ما أثارت لسبب ما أعجاب المرء ودهشته "حجر مميز بشكله، جذع خشبي، قطعة من عظم حيوان ما..." ولكن هذا الاختيار يرتبط بشيء ملموس من التوفيق أو عدمه، وعندها يستطيع المرء أخذ القرار حول فيتيشه الخاص، ويقوم الشخص بالتقرب من الفيتيش لسببين وهما: الشكر لمساعدته، وتقديم القرابين لحثه على العمل، وأيضًا يستطيع الشخص معاقبة فيتيشه إذا ما تأخر في تلبية طلبه، وذلك بغرس المسامير في جلده لاعتقاده أنه إذا تألم هذا الفيتيش سيلبي النداء فورًا وبسرعةٍ فائقة.

كما أدى التطور الديني إلى ظهور الكهانة وأقسامها، حيث عُرف أن هناك نوعان من الكهانة، الأولى الكهانة الرسمية: وهي التي تكون ضمن المعابد وأمكنة العبادة، وقد حضي هؤلاء بشعبية وسلطة لدى الشعوب الإفريقية كُلّها، حيث كانوا يقيمون طقوس الحرب والزواج والمحاكمة، وكان لديهم خدم لتنفيذ رغباتهم وأموال وعقارات. وكهنة غير نظاميين: مثل الأطباء الشعبيين والسحرة والمشعوذين والعرّافين.

وتحتل عبادة الحدادين المرتبة المرموقة لدى الأفارقة، فإن استخراج الحديد وتصنيعه عمل له أبعاد روحية ما ورائية متميز لدى هذه الشعوب، ومعرفة أسرار هذه المهنة من الأمور الخاصة والخطيرة، ويتجلى الخوف من الحدادة بأشكال مختلفة، فمثلًا الحداد غير مرغوب به للزواج من قبل النساء وكذلك ابنته وابنه، وذلك لاستقدامه أرواح الشر والخير، وقدرته على استحضار روح المعدن وأذى الآخرين وجلب الموت لهم، كما تستخدم الحدادة في صناعة التمائم والتعاويذ والطلاسم الخاصة لهم.

***

أديان شعوب أمريكا "المايا"

تُثير أديان سكان أمريكا لدى الوسط العلمي اهتمام العلماء والباحثين، وذلك لتطور الدين فيها بعيدًا عن إطار تطور "العالم القديم" فأمامنا هنا قارة مزدوجة ضخمة تنتصب من الشمال ــ المحيط المتجمد الشمالي ــ إلى الجنوب ــ القطب الجنوبي ــ وقد تنوع إقليمها الجغرافي وتنوعت فيه المجتمعات والطبقات الدينية، حيث استوطن فيها سكان أمريكا الأصليون "الهنود، الأسكيمو"، وحققوا تطورات في مستويات مختلفة، فمن القبائل البدائية ــ ومنهم البحارة والصيادين وجناة الأثمار ــ إلى المزارعين والقرويين، ومن هنا بدأت الحياة المدنية قبل وصول الأوروبيين إليها أصلًا.

وسنتحدث عن الديانة القديمة الأهم في العالم القديم لدى الشعوب الأمريكية، وهي "حضارة المايا" والتي انتشرت بتعاليمها وأساطيرها

إلى كل أصقاع الأرض، وصدّرت ثقافات متنوعة عن علوم الغيب والهندسة الفلكية وغيرها عبر المحيطات والقارات.

***

ديانة المايا:

اتصف دين حضارة المايا الذي كان سائدًا في شبه جزيرة "يوكاتان" في دولة مايا بأنه مغاير لديانة الأسكيمو وديانة الهنود الحمر، فقد شارفت دولة المايا على نهايتها حتى قبل وصول الإسبان إليها، وجُلّ ما فعله الفاتحون أنهم وجهوا الضربة القاضية التي أودت بحضارة المايا.

وقد وصل من الثقافة المعروفة لدى شعوب المايا، الأحرف الهيروغليفية القديمة، والتي ما زال العمل على حلّ رموزها قائمًا إلى الآن، وقد حفظت ثقافتهم وآثارهم الدينية في "سجلات كوديكس" في مدريد وباريس، حيث يُذكر في هذه السجلات القيّمة أسماء آلهتهم المختلفة، ولم يكن يُعرف عن أمور عباداتهم شيءٌ إلا من وقت قريب، واليوم أصبحت أسماء آلهتهم معروفة بنسبةٍ جيدة، حيث شغل الإله "إتسامنا" المقام الأول في بانثيون آلهة مايا، فقد كان على الأغلب إلهًا قبليًا، وهو المؤسس الأسطوري للمدينة الأساسية "إتسامال" ثم انتهى به المطاف إلى أن أصبح بطلًا ثقافيًا وضع قواعد أحرف الكتابة والمعارف كلها.

وبعد أن أصبح إلهًا للسماء، كان له الدور المرموق في مدينة "بايّامايا" فقد كان حاميها والجد الأسطوري لعائلة "كوكوما" الأرستقراطية، وهي العائلة المالكة في بايّامايا حيث أخضعت كل مدن مايا إلى حكمها المباشر في آنٍ واحد، وقد نشأت عبادة "كوكولكان" في هذه المدينة باسم هذا الإله، فقد كان نصفَ إنسان ونصفَ أفعى، ومعنى اسمه "الأفعى ذات الريش" وأيضًا إله الهواء "خوراكان" كان له الأهمية ذاتها.

وإذا بحثنا في ميثولوجيا مايا الكونية، سنجدها غريبة وشديدة التعقيد، ومغاليةً في التزويق، فقد عمل الباحث "بوبول ـــ فوخ" على تأليف كتاب حول هذه الميثولوجيا في القرن السابع عشر، وقد كتبه على لسان أحد الإسبان، وتتحدث أسطورة التكوين لديهم عن صنع الكون من قبل زوج الآلهة "الأم العظيمة والأب العظيم"، وتقصُّ الأسطورة ولادة التوأمين من رأس أحد الآلهة الميتة بأعجوبة على يد واحدة من العذراوات، فقد قاما بصنع العالم بالتتابع، حيث صنعا أولًا الأرض ومن ثم الحيوانات ومن ثم البشر من الصلصال وفيما بعد من الخشب، ولكن كلتا المحاولتين باءت بالفشل الذريع، وعندها قاما بصنع الإنسان من حبوب الذرة الصفراء المطحونة، حيث أنتجا أربعة رجال أولًا ومن ثم أربعَ نساءٍ ـــ والرقم 4 مقدس لدى المايا ـــ وترد في مُؤَلف ميثولوجي آخر يحمل عنوان "تشيلام ـــ بالام" قصة عن عصور عالمية، وعن الطوفانات العالمية بتفاصيل كثيرة ومعقدة، وهناك أسطورة "إسخاتولوجيا" وهي أسطورة نهاية العالم، وعن الكارثة

العالمية المقبلة، وهذه الكتب هي الوحيدة المعروفة لدى السكان الأصليين والمتعلقة بالميثولوجيا الأمريكية القديمة.

كانت مدن يوكاتانا مراكزَ دينيةٍ قامت فيها أضخم مراكز العبادة من معابد عظيمة، حيث حظيت بشعبية واسعة وكبيرة منتشرة، وكانت معابدها على شكل أهرامات متدرجة ضخمة تُقَدم فيها القرابين للآلهة، ومنها القرابين البشرية، وكان هناك معتقدٌ معروفٌ وهو الإيمان بـــ"تشاكات" وهي أعداد غفيرة من أرواح الخصب والمطر ومعطية المواسم، وكانت النشاطات مرتبطة بجهات البلدان الأربعة، ودخلت ثقافة الأستيك الدموية المتأخرة على شعوب المايا في القرن الخامس عشر على يد الفاتحين الجدد، وبقي لدى هنود غواتيمالا "المايا" المعتقد المعروف والسائد كثيرًا لدى الشعوب الأمريكية وهو "الناغوالية" حيث لاحظ الكُتّاب الإسبان هذا المعتقد في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وملخّصه أنه يوجد لكل إنسان حيوان ـــ توأم يُدعى "ناغوال" وهو توأمه الخفي في شكل حيوان ما في الغابة، وإن هلك هذا الحيوان يجب على الإنسان أن يهلك مثله، وهذا يعود إلى الطوطمية أو عبادة الأرواح السائدة قبل المايا وآلهتها المتنوعة.

***

أديان أستراليا

تُعتبر الديانة الأسترالية العنصر الأقرب إلى فهم المراحل المتأخرة في تطور الإنسانية، فإن مراحل نظام العشيرة القائم على الدم لم يتطرق إليه أحد من باحثي الأديان، مع أنه يثير لديهم اهتمامًا استثنائيًّا، وليس غريبًا أن كل البحوث الدينية المختصة بالأصول المبكرة يُعثر فيها عن أمثلة مستقاة من الديانة الأسترالية القديمة، وهناك في بعض الأبحاث عن أنتوغرافيا العشائر الأسترالية، والتي كانت لقيات من الرسوم والصور والتي لا تبتعد بالتاريخ إلى أكثر من 1880 ـ 1900 وذلك بعد التأثر بالاستعمار الأوروبي الذي دمر هذه العروق التقليدية، وعلى الرغم من هذا حافظ هذا الدين على أشكاله وأصوله الرئيسة.

والطبيعة القارية لأسترالية تعتبر حالة من العزل الحقيقي والصارم عن أكثر شعوب الأرض تقدمًا، لذلك نرى من خلال تتبع التطور البشري لسكان أسترالية أنّه قد توقف عند المرحلة الأولى من التطور، وهذا ما لاحظه أهل الاستعمار القادم، وقد توقف النمو التطوري عند هذا الحد نتيجة الطبيعة التي تميزت بها هذه القارة وخطورة العيش مع الكائنات المختلفة والصحراء والمحيط.

وعلى ما بُني فإن المعتقدات الدينية الأسترالية تثير اهتمامًا علميًّا كبيرًا، مع الحفاظ على تنحية التطور الإنساني لباقي شعوب المعمورة المتصلة بشكل أو بآخر مع بعضها عن طريقة الأقاليم الجغرافية، ولكن التقدم الديني الأسترالي كان عن طريق شروط خاصة بهذه الشعوب، وهي الحفاظ على المعتقدات والتقاليد السحرية التي بقيت بتطورها أكثر نقاءً لدى كل الشعوب المتواجدة.

تعتمد العبادة الروحية الأسترالية على مجموعة تراكيب ومسلسلات اتصل بعضُها ببعضٍ بشكل تسلسلي، فقد كانت قبائل الرعي بعد العشائر ومجموعات الصيد الوحشية، وبعدها جاء المزارعون الأوائل، وبعدها تربية المواشي والاستقرار وحراثة الأرض، وأخيرًا في عتبة التطور الأولى كانت الصناعة النسيجية والطينية وصناعة الحراب وأسلحة الصيد وأدوات الحراثة من العظام والأخشاب ومعالجة المعادن، وفي مضمار هذا التطور جاء الانقسام

العشائري المسمى "أورد" وهي مجموعات محلية حيث كانت الحياة الاجتماعية تسبح في فلكها من الأساس، وإن التكوين الداخلي يقوم على أساس رابطة الدم، وكان هناك مراتب واضحة من المقامات مبنية على أساس الجنس وتوزيع العمل.

وقد انقسمت الديانة الأسترالية إلى عدة مراحلَ وحسب التسلسل التاريخي لها نستطيع أن نصنفها على النحو التالي:

1 ـ الطوطمية: حيث تُدعى "أسترالية" بالبلد الطوطمية التقليدية.

2 ـ الجماعات الطوطمية "العشائرية": وتكون أفرادها بين 10ـ 30 فردًا.

3 ـ القبائل الطوطمية المنظمة: وهي الأورد أي القبائل المستقرة الكبيرة التي تجتمع فيها الأعراق والروابط المتنوعة.

وأخيرًا فإن الطابع العام في الديانة الأسترالية هو أن هذه التقاليد كانت خاضعة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الأستراليون، حيث كانت العبادة الطوطمية بكل أشكالها "الثمار والحيوانات والشمس والقمر والنساء والجنس والآلهة الغيبية والموت..." كلها كانت تجسيدًا وانعكاسًا للواقع الحياتي لدى هذه الشعوب، والتطور الروحي جاء بعد تطور أساليب السحر والشعوذة الشامانية والتي اُعتبرت الأقدسَ لدى الشعوب الأسترالية، حيث كانت القيادة الروحية للمسنّين والعجزة، وهذا ما جعل الاعتقادات

تسود وتستمر إلى وقت طويل بدون أي تطوير على العادات الأساسية فيها إلى أن جاء الأجنبي المستعمر حاملًا معه التطور الدينيّ والروحيّ والفكريّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ إلى هذه القارة البكر.

***

الباب الثاني

اليَهُودِّيَة



الأصولُ اليهودية

الديانة اليهودية، وهي أحد أهم الديانات القومية في العهد القديم، حيث دخلت على تعاليم هذا الدين تعديلات جذرية وثانوية، ومع ذلك لمّا يزل إلى يومنا هذا من الأديان الحية لدى المجتمعات اليهودية المتشتتة في أنحاء العالم. حيث تدعى اليهودية "بالموسوية" أو الموسائية نسبة إلى مشرّع الدين اليهودي وهو النبي الأسطوري موسى بن عمرام، وأيضًا شريعة موسى، ومع أنها أسطورية إلا أنها لا تقبل الشك أو أي نوع من أنواع الريب في التعاليم والإطار العام لهذه الشريعة.

سنقوم بتقسيم هذه الدراسة عن التوراة واليهودية إلى أقسام رئيسية ليكون باستطاعتنا الشرح الموّسع عنها:

- التوراة.
- التشكيل الأول للمجتمع اليهودي.
- التعاليم الدينية.

القسم الأول



التوراة:

وهو الكتاب المقدس لدى اليهود، ومع قدمه التاريخي لا يُعتبر من المراجع التاريخية الدينية أو العلمية الأثرية، وبخاصة في الهيئات الدينية الكاثوليكية والأرثوذكسية، بل هو عند المؤمنين من اليهود أداة للإيمان والخضوع فقط، والتبجيل الذي لا تشوبه المرآة أبدًا، وتُشكل هذه التوراة المصدر الأساسي للديانة اليهودية، وإذا أردنا الابتعاد أكثر من ذلك نقول: للتاريخ اليهودي بأكمله، فكل ما بُني من تاريخٍ للحضارة اليهودية ـــ إذا اعتبرنا أن هذا الوجود تاريخ أو حضارة ـــ ارتكز على التوراة وقصصه الأسطورية وهذا يأخذنا إلى أن هذا التاريخ برمّته كالقصر المُبنى على الرمال المتحركة إذ لا شيء يؤكد صحة المصادر التاريخية إلا أساطير غير مترابطة البنية والتراكيب من

صنع الحاخامات في الفترات الماضية[3] وتعود بدايات علم دراسة التوراة إلى عصر الثورات البرجوازية والتنوير في أوروبا، وكان من أوائل المفكرين الفرنسي "جان أستريوك" في كتابه "تقديرات حول النصوص الأولية" وكثيرون غيره مثل: ولهيلهم مارتن دوفيتيه، غيرمان غوبفيليد، يوليوس ويلهازون...

تعني كلمة توراة ــ Biblia ــ باللغة اليونانية كتابًا، وحسب الترجمة اليونانية للتوراة "السبتواغينيت" أي التفاسير السبعين، وترجمتها اليهودية بكلمة "سوفيروم" حيث جاءت من المعنى ذاته، والتوراة بمجمله ليس مجرد مؤلف واحد وإنما عدد كبير من الآثار المرجعية المختلفة، بيد أنها تقسّم إلى ثلاث مجموعات ضخمة حسب التقليد الكهنوتي التوراتي:

المجموعة الأولى:

وتعرف باسم "أسفار موسى الخمسة" أو كتب الشريعة "تورا" وهي أسفار يُنسب وضعها إلى موسى بن عمرام وتتألف من:

---

[3] للتوسع في فكرة وضع التوراة راجع مؤلّفي "معتقدات مظلمة" دار الأيام ــ الأردن طبعة 2 صفحة 33 .

- سِفر التكوين:

وهو قصة خلق العالم والإنسان من قِبل الإله، وحياة أول مخلوقين الجنة والعصيان والخروج منها، وتكاثر البشر منهما والعصيان الثاني والطوفان، وبطل قصة الطوفان هو النبي نوح من نسل آدم طريد الجنة، ومن ثم التحدث عن البطاركة أوائل الشعب اليهودي وهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وإخوانه، واستيطان الكنعانيين اليهود في مصر على يد نبيهم يوسف.

- سِفر الخروج:

وهو كتاب يروي قصة حياة ونشاط مُشرِّع اليهود موسى العبراني أو "ابن الماء" وثورته لتحرير اليهود الذين تحولوا إلى عبيد لدى الفراعنة في مصر بعد قرابة أربعمائة عام من قصة يوسف، وضمن هذا السِفر تَرِد الوصايا العشر المعروفة[4] والتعاليم الدينية الأخرى.

- سِفر اللاويين:

وهو الشريعة الدينية وكل التعاليم الإلهية المنوطة بهذه التسمية، حيث إنها تشعّبت إلى أكثر من فرع ونتج عنها ما يُعرف بالتلمود المقدس والذي تحدثنا عنه في الكتاب الأول "معتقدات مظلمة".

---

4 الخروج: 20: 1 ــ 7.

ـ سِفر العدد:

وهو شريعة وتاريخ اليهود بعد الخروج من مصر، إلى وقت الوصول إلى أرض كنعان، وكل ما مر بهذا الشعب المُغرور به من قبل نبيه موسى حيث خرج وضاع مدة أربعة عقود في صحراء سيناء الشاسعة.

ـ سِفر التثنية:

وهو سِفر تابع للتشريع الديني وتفاصيل الوصايا العشرة وتعاليمهم وشرحهم.

ـ سِفر يشوع بن نون:

وهو سِفر الخلاص المجاني، إذ يتسلم يشوع قيادة الشعب ليدخل بهم أرض الموعد "رمزًا للمعمودية الآن" ولكن سِفر القضاة يكشف عن حالة غالبية المؤمنين من اليهود، إذ يتهاونون بعطيّة الله العظمى ويتراخون في المطالبة بمواعيد الله المجانية، حيث فترت غيرة الشعب وانصرف غالبيته إلى مشاركة الأمم الوثنية التي تركوها وسطهم في عباداهم والتلذذ معهم في الخطيئة.

ونرى في هذا السِفر أسلوب الله "يهوه" في التعامل مع أولاده إذا أخطأوا حيث جاء في العدد 12: 6: "فمن يحبّه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله"، فالله لا يترك أولاده في الرجس بل يؤدبهم، وهناك نجد

الله يؤدبهم مستخدمًا الأمم ذاهًا كعصا تأديب قاسية، وكان متى رجع الشعب يُرسل لهم مُخلّصًا ينقذهم.

إذًا هذا السِفر هو سِفر حياة كل مؤمن ذاق عذوبة الحياة الجديدة مع يسوع المسيح بكونها الأرض الروحية التي تفيض لبنًا وعسلًا، ولكن عوضًا من الانطلاق فيها من قوة إلى قوة، فهو يتراخى روحيًا ويرتدُّ لحياة اللذة الجسمانية فيؤدبه الرب حتى يردّهُ ابنًا مُقدسًا.

***

المجموعة الثانية: تتألف هذه المجموعة من الكتب المقدسة المتفرقة، سواء كانت تاريخية أم أسفارًا وهي:

- سِفر القضاة:

كلمة قاضٍ مأخوذة من أصلٍ كنعاني والترجمة الدقيقة تفيد معنى قائد أو رئيس، فالقضاة المذكورون في هذا السِفر ليسوا قضاة بالمفهوم العام لنا، فلم يكن عملهم القضاء، وإصدار أحكام بحسب قانون معين لتحقيق العدل، وإنما ردّ البِّر وإعادته في حياة الجماعة، والدفاع عن حقوق هذه الجماعة وتخليصها من الضيق الذي سقطت فيه بسبب الخطية.

ظهر هؤلاء القضاة أو سِفر القضاة في الوقت ما بين موت يشوع وبدء عصر الملوك ــ بداية بشاؤول ــ فكانوا ذوي سلطة ولكن

ليس كالملوك، فكان الحكم إلهيًّا بمعنى أنَّ الله هو الملك الخفي للشعب، والقاضي يعمل كنائب له، وكان كل سبط له رئيسه الذي يدبر أموره الخاصة، أمّا الأمور الكبرى التي تمس الجماعة على مستوى جميع الأسباط أو بعضها معًا كمحاربة الأعداء والتخلص من نيرهم فيرجع إلى القاضي، كانت مُدّةُ ظهور القضاة مُدّةُ محزنة بعد موت يشوع، فإن كان سفر يشوع قد أظهر حياة الجهاد والنصرة، نجد بعد موته أن الشعب بأكمله انصرف إلى اللذات الوقتية ومشاركة الأمم عبادتهم الوثنية ــ كما مرَّ معنا في ما سبق ــ وكان القاضي ليس له أن يَسنَّ شرائع أو يضع أثقالًا على الشعب وإنما يحكم ويؤدب وخاصة المنحرفين إلى العبادة الوثنية، ويقود المعارك ضد الأمم، وكان يُنظر للقاضي كمخلّصٍ يخلّص الشعب من سطوة الأمم الوثنية، ويكون ذلك بقيادتهم عسكريًّا خلال التوبة والرجوع إلى الله مع الجهاد.

لم يكن للقضاة أجور من الشعب ولا حرس ولا أتباع ولا أحد يخدمهم، بل كلٌّ منهم ينفق على نفسه، وكان الله هو الذي يقيّم القاضي، وأحيانًا يختاره الشعب. وقد تسلّم يشوع قيادة الشعب ليدخل بهم أرض الموعد، ولكن سِفر القضاة كان يكشف عن حال غالبية المؤمنين إذ يتهاونون بعطية الله العظمى ويتراخون في المطالبة بمواعيد الله المجانية.

لقد أمرهم الله بإبادة الكنعانيين لكنهم استبقوهم فصاروا عثرة لهم، ونقلوا لهم وثنيتهم ورذائلهم، بل كانوا سبب ارتدادهم، وهذه الشعوب هي "شعوب ما بين النهرين والموآبيون والعمونيون والكنعانيون والمديانيون والفلسطينيون"، ونلاحظ أن منهم شعوبًا طلب الرب إبادتها، كما طلب أيضًا من شعوبٍ أخرى عدم مصاهرتها أو الاختلاط بها وبأوثانها، فكان أن استخدم الرب هذه الشعوب لتأديبهم وإذلالهم، فالخطية عقوبتها في نفسها، وهذه الشعوب ضايقوا شعب إسرائيل على التوالي وفرضوا جزية صعبة، ولكنهم كانوا متى صرخوا إلى الله في ضيقهم وتابوا، كان الله يشفق عليهم ويقيم لهم قادة يعطيهم شجاعة وحكمة خاصة فينقذونهم من تلك الضيقات ويكونون ولاة أمورهم، وكان القضاة يمارسون وظيفتهم حتى نهاية حياتهم، وغالبًا كتب هذا السفر صموئيل النبي كما جاء في التقليد اليهودي ووافق كثير من آباء الكنيسة على ذلك، وقد كتبه أو تمّ تدوينه بعد تأسيس النظام الملوكي ــ 19: 1 + 21: 15 وقبل أن يضم داوود أورشليم (1: 21 + 2 صموئيل 5: 6 ـ 8)؛ ولذلك فقد تحدد زمن كتابته في أيام شاؤول الملك، وكان نبي ذلك الزمان هو صموئيل النبي، والاعتراض على هذه العبارة التي وردت في 18: 30 "إلى يوم سبي الأرض"، فتصوّر البعض أن السِّفر كتب بعد السبي وهذا الكلام يؤكد تماشي أحداث التوراة مع ما كان قد حصل فيما سبق ليؤرخ الحاخامات تاريخًا مزوّرًا يبتعد عن حقيقة التاريخ والمكان.

وفي مجمل الحديث عن هذا السِفر نلخّص التالي: أحداث هذا السِّفر تبدأ بوفاة يشوع وتنتهي بموت شمشون أو قبيل بداية صموئيل ويصعب جدًّا تحديد مدة هذه الفترة من خلال السِّفر نفسه، لأنه لو جمعنا الأزمنة التي حكم فيها القضاة مع أزمنة الضيق أو العبودية للأمم حيث لم يكن يوجد قضاة لوجدناها 410 عامًا هذا يفرض أن القضاة جاؤوا على التوالي وتحسب هكذا:

العبودية لكوشان رشعتايم 8 سنين.

قضاء عثنيئيل 40 سنة.

العبودية لعجلون 18 سنة.

سلام في أيام أهود وشمجر 80 سنة.

مضايقة يابين 20 سنة.

فترة قضاء دبورة وباراق 40 سنة.

الاستعباد لمديان 7 سنوات.

فترة قضاء جدعون 40 سنة.

حكم أبيمالك (ليس قاضيًا) 3 سنوات.

فترة قضاء تولع 23 سنة.

فترة قضاء يائير 22 سنة.

مضايقة العمونيين لهم 18 سنة.

فترة قضاء يفتاح 6 سنوات.

فترة قضاء إبصان 7 سنوات.

فترة قضاء إيلون 10 سنوات.

فترة قضاء عبدون 8 سنوات.

الاستعباد للفلسطينيين 40 سنة.

فترة قضاء شمشون 20 سنة.

ولكن هذا هو الغالب بالتأكيد أن القضاء لم يخلفوا بعضهم الآخر بل كان يعاصر أحدهم الآخر، وكان كلٌّ قاضٍ مسؤولًا عن جزءٍ من البلاد وليس كل البلاد، أي أن سلطة القاضي لا تشمل كل الأسباط، إذًا سلطة القضاة كانت محلية وليس على مستوى الشعب كلّه ولم يمثل القضاة حلقة متصلة كالملوك ونلاحظ أن:

أهود ويفتاح وإيلون ويائير منطقة شرق الأردن.

باراق وتولع منطقة شمال كنعان.

عبدون منطقة وسط كنعان.

أبصان وشمشون منطقة جنوب كنعان.

ولذلك تحدد مدّة القضاة بحوالي 200 ـ 300 سنة ولا يمكن تحديدها بالضبط.

ـ سِفر راعوث:

يأتي بين سفريّ القضاة وصموئيل اللذين كثرت فيهما الحروب والدماء والعصيان والتأديب، وسِفر راعوث يأتي بطريقةٍ عجيبة بينهما فلا نجد فيه حروبًا ولا عداءاتٍ بل محبة وأشخاص يحيَون في بساطة وحب الله وطاعته، هو سفر يثبت أن هناك 7000 ركبة لم تَنحَنِ لبعل، وأن الله لا يُبقي نفسه بلا شاهد، والانتقال من سفر القضاة إلى سفر راعوث هو انتقال من عالم الحرب إلى بيتِ السلام، هو انتقال من العالم المملوء اضطرابًا إلى الكنيسة المملوءة محبةً وسلام، فالله قادر وسط هذا العالم المملوء بالتناقضات، وهنا يكمن الضعف القاتل في هذا السِفر من الكتاب المقدس حيث تنقطع سلسلة الأحداث الدموية والحروب التي توحي لقارئها أنها مرحلة تأسيس لمملكة اليهود إلى حالة من الرخاء والزواج القدسي والسكون الرغد والمسالم.

ـ سِفر الملوك:

ويتحدث عن الملك داوود ومن أتى بعده على ولاية عرش مملكة اليهود، عمر الملك داوود الآن حوالي 70 عامًا فهو ملك وعمره 30 عامًا وملكَ 40 عامًا، وواضح أنه في سن السبعين يوجد الكثيرون

الذين لهم نشاطٌ وحيوية أكثر ممن في سن الشباب...فلماذا انهارت صحة داود هكذا؟ لقد رأى داود أيامًا صعبة بسبب خطيئته في موضوع أوريا وكان أصعبها، فتنة ابنه عليه بل سعيه وراءه ليقتله ثم حزنه على أولاده وما حدث لهم ومنهم، وهو ذو الشخصية المملوءة حبًّا وحنانًا، ونجد هنا مشورة بإحضار فتاة حاضنة جميلة للملك وهي "أبيشج الشونمية" وهذه الفكرة إنما كانت من وزراء ومستشاري داود بحسب شهواتهم هم وليس حسب طلبه، ويقال إنها طريقة يونانية للعلاج فهذه تعمل كممرضة تنام بجوار المريض، وموضوع أبيشج ذُكر هنا كمقدمة لما سيحدث بعد ذلك في موضوع أدونيا بن داود، وذُكر موضوع ضعف داود لإظهار سبب الإسراع بتنصيب ملك آخر من أولاده.

وهنا نسمع عن ابن داود أدونيا وكل ما عرفناه عنه أنه جميل الصورة جدًّا فكان في عيني أبيه كجوهرةٍ ولكنه صار كشوكة، وهو أكبر أبناء داوود الأحياء لأن أمنون وإبشالوم ماتا ـــ وهذا مسجّل كتابيًا ـــ وغالبًا كيلآب أيضًا، وفي آية (5) ترفّع قائلًا: كان أدونيا له كثير من البركات التي أنعم الله بها عليه لكن دخل الكبرياء قلبه عوضًا عن الشكر وحاول اغتصاب ما لم يَدعُه الله إليه، وعدَّ لنفسه عجلات وفرسانًا وهذا ليس للحرب ولكن للتعظيم كما فعل إبشالوم وكما لم يفعل داود قط، وهذه وسائل بشرية.

وأيضًا الأب الذي لا يُغضب ابنه ولا يعلمه أن يمتنع عن الشر كأنه يعلمه أن يفعل الشر، ولذلك استغل شيخوخة أبيه ومرضه واغتصب المُلك، وأدونيا كان يعلم نيّة أبيه بأنه سيُعطي المُلك لسليمان (1 الأيام 9: 22) وهذا يتضح في تجاهله لأبيه داود وعدم دعوة سليمان، لذلك يعتبر ما عمله أدونيا مؤامرة ضد الملك المختار من الله، وهذا ما فعله اليهود حين قالوا عن المسيح: هذا لا يُملّك علينا. وقد ولَدَتْه أُمُّه بعدَ أبشالُوم، أُمُّ أدونيا هي حجيث وأمُّ أبشالوم هي معكة فهما من أُمّين مختلفتين، والمعنى المقصود أن أدونيا كان أصغر سنًّا من أبشالوم.

ونتابع في نفس السِّفر: يوآب فضّل أن يملّك أدونيا ضعيف الشخصية عن أن يملّك سليمان القوي، فإذا ملك أدونيا صار الملك الفعلي يوآب، وغريب أن ينحاز رجال داوود ضد رغبة داوود، ولكن هم غالبًا رأوا ضعف داوود الصحي، وربما فضّلوا أن يملّك أدونيا حتى يضمنوا لهم مراكز قيادية بعد داوود، وأما انحياز أبياثار الكاهن لأدونيا فهو غريب فعلًا، لكن يبدو أن هذا كان بسماح من الله حتى تتم النبوة في بيت عالي الكاهن، فسليمان حين مَلَكَ عزلَ أبياثار وعيَّن صادوق مكانه وظلت عائلة صادوق في رياسة الكهنوت حتى مجيء المسيح وانتهى بعزل أبياثار بيتَ عالي الكاهن تمامًا.

وكان أبياثار كاهنًا في أورشليم حيث التابوت، وصادوق كاهنًا في جعبون حيث خيمة الاجتماع (1 الأيام 39: 16) وجعبون على هضبة تبعد خمسة أميال شمال غربي أورشليم، وهنا اتضحت سوء نية أدونيا في أنه لم يدع سليمان، إذًا هو يعرف أن داوود اختاره ملكًا بعده، وحتّى تكتمل الصورة قدّم الذبائح وعيّن أبياثار رئيس الكهنة على نفس حجر الذبائح، ليبدأ مُلكه بصبغة دينية ولكنها مُزيفة، ولعلّ هذا الحجر هو الذي قدّسه الكنعانيون لوجوده بجانب عين ماء، فهم يقدسون الماء كمصدر للحياة ويظنون أن إلهًا حلّ فيها.

ـ سِفر أخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني:

يعود نسل شعب الله لآدم، بينما نسب كل شعبٍ وثني نفسه للآلهة، فمنهم من قال إنهم أولاد القمر، ومنهم قال إنهم أولاد الشمس، ومن قال أيضًا إنهم أولاد الحجارة، ولكن في هذا السِفر يظهر الله أنّ البشرية لها أصلٌ واحد تكاثرت منه شعوب الأرض، ولكننا نجد اختلافًا في الأسماء مثلًا: نجد هنا في عدد 9 سبتا ورعما، وفي التكوين 7: 10 سبتة ورعما هي نفس الأسماء ولكن مع اختلاف النطق والهجاء، وتختلف اللغة عبر الزمن، فاللغة العربية مثلًا تُكتب الآن غير ما كانت تُكتب به من 1400 سنة، ونُلاحظ أنه لم يرد إسمي هابيل وقابيل، فهابيل مات دون نسل وقابيل هلك في الطوفان العظيم، وغرض السِفر هنا أن يظهر نسب الأشخاص الذين لهم علاقة

بقصة الخلاص، وطريقة كتابة الأسماء هنا تُبيّن أَن الله يودُّ لو أن الخلاص كان لكل إنسان، فالبشر كلهم وحدة واحدة، فهم من نسل آدم الواحد والخلاص معروض على الجميع ومن يرفضه يعرض نفسه للهلاك، وهذا ما حدث بالطوفان فقد هلك كل من رفض الخلاص وبقي نوح ونسله.

لنفهم أَن كل من يرفض الله سيكون الهلاك مصيره، والله هو الإله "يهوه" الدموي الذي ذُكر كربٍ للمعمورة بعد أن كان محليًّا يتبع بعض سلطة الكهانة اليهودية في زمن السبي البابلي وما بعدها بقليل، والذي ترقّى إلى هذه الدرجة بعد قصة يوسف وبعد سِفر الخروج، أي بعد أن تمّ تدوين التوراة على يد الأحبار، ومن ثم ينتقل الوحي لجيلٍ آخر مثل إبراهيم الذي قابل الله، ولكن من نسله من قبل الله ومنهم من رفض الله، ومن رفض الله يتركه الوحيَ ليتكلم عمن قبلَ الله هكذا.

سنعرض أسباب الاختلاف اللغوي في الأسماء بين سِفر الأيام وباقي الكتاب كما هو موضّح في أكثر من مصدر لُغوي عبري عن تفاسير التوراة وأسفاره:

1 ـ للشخص الواحد عدة أسماء (بطرس تلميذ المسيح اسمه سمعان وأيضًا صفا).

2 ـ اللغة تطورت مع الزمن خصوصًا لتداخلها مع اللغة الكلدانية بعد السبي.

3 ـ قد يكون شخص مات وتزوجت زوجته أو أرملته من أخيه، فنُسب ابنه للأب الجديد أو الميت.

4 ـ هناك أسماء أسقطها كاتب أو كتّاب سِفر الأيام، فهي لا علاقة لها بقصة الخلاص أو هي غير مهمة في سير أحداثه.

ونلاحظ هنا في آية 32 أن قطورة سرية ابراهيم بينما قيل في التكوين زوجته، وبهذا نفهم أنها زوجة درجة ثانية وليست مثل سارة بل هي أقرب إلى هاجر، أو من باب آخر أن كاتب هذا السفر لم يطّلع على سِفر التكوين بسبب بعد المدّة الزمنية بين تدوين السفرين؛ ولهذا نجد اختلافًا في اللغة، وأن الأسماء الموجودة لأشخاص هنا هي أسماء قبائل أو أماكن، فالأماكن تسمّت بأسماء ساكنيها، ومن خلال هذه الملاحظات نجزم أن من وضع أسفار التوراة المتتالية ليس شخصًا واحدًا أو منبعًا كهنوتيًّا واحدًا، وإنما مجموعة تتالت على تدوين القصص والأخبار عن طريق المُشافهة، فقد تُذكر أسماءُ مناطقَ أو مدنٍ لم تكن موجودة في زمن تدوين الأسفار السابقة أو أي جزء منه.

ــ أسفار عزرا، نحميا، أيوب، أستير: مَنْ عزرا؟ هو عزرا بن سرايا من نسل هارون، وهذا يؤكد لنا أنه كان كاهنًا، وهو كاتب ماهر في شيعة الرب، وكان إضافة لعمله ككاهن وكاتب كان يُقدم الذبائح، لأنهم في أرض السبي، وقد اهتم بدراسة الشريعة التي أحبها من كل قلبه وهيأ نفسه ليعلمها لشعبه، وسُمي الكاتب لشهرته ومهارته في هذه الخدمة وهذا العمل، وكاتب لا تعني أنه ينسخ فقط الكتب المقدسة، بل هو دارس لها يشرحها ويفسرها، وهكذا كان الكتبة حتى أيام المسيح خبراءَ ودارسين للشريعة، ولكن للأسف بسبب تراكم خطاياهم أصبح اسم الكاتب اسمًا سيئًا "ويل لكم أيها الكتبة"، وكان الذين يعرفون الكتابة قديمًا قلائل؛ لذلك كان الكاتب يعتبر عالمًا ومتقدمًا بين شعبه، وكان عزرا كاتبًا ماهرًا (عزرا 7: 6) أي ينسخ الناموس ويفسره ويعلّمه.

الشخصيات الأساسية في فترة سِفر عزرا وما بعده:

1 ـ زربابل أو شيشبصر: وهذا كان واليًا على اليهود وهو الذي عاد بمجموعة منهم تُقدّر 42000 إلى أورشليم بإذن من كورش الملك سنة 536 قبل الميلاد، ومنهم يوشع الكاهن.

2 ـ يوشع بن يوصادق: رئيس الكهنة الذي عمل مع زربابل على إعادة بناء الهيكل.

3 ـ عزرا الكاتب: كان له تفويض بتنفيذ الشريعة وعقاب من يخالفها، وله سلطة الإصلاح، فعزل الوثنيات عن الشعب، ولكنه لم يحكم كونه واليًا.

4 ـ نحميا: وقد كان والٍ على اليهود، وقد تزامن وجود نحميا مع عزرا في نفس الوقت في أثناء حكم ملك أرتحشستا لونجيمانوس، ولكن كان لكل منهم عمله وسلطته.

وكانت أهم أعمال عزرا تاريخيًّا بعد أن انتدبه الملك الفارسي هي: إعادة الشعب اليهودي باعتبارهِ شعبًا له شريعةً من الله تحكمه، وهو من وضع للشعب قوانين تحكمه بحسب ناموس موسى والأنبياء، فقد كان مفوضًا من ملك فارس بصلاحيات خاصة بذلك، والصورة التي أعادها عزرا للشعب استمرت حتى أيام المسيح، وقد كُلّف أيضًا بترتيب وتجميع الأسفار المقدسة خصوصًا بعد أن ضاع كل شيء خلال السبي، حيث أعاد عزرا تجميع كل الكتاب المقدس (العهد القديم) واليهود ينسبون إليه هذا الفضل، وهذا رأي كبير من الآباء أن عزرا هو الذي جمع أسفار العهد القديم مثل باسيلوس وترتليانوس وإيريناوس وغيرهم، فقد جمع الأسفار وجمع ما هو قانوني وقسّم الأسفار إلى ثلاثة أقسام هي:

الناموس ــ والأنبياء ــ الكتب المقدسة (هاجيوجرافا).

وإلى هذا التقسيم أشار السيد المسيح عليه السلام فقال: ناموس موسى والأنبياء والمزامير، فكانت المزامير أول كتاب في قسم الكتب المقدسة، ولشهرة المزامير سُميت الكتب "المزامير" وهو أيضًا غيَّر أسماء بعض الأماكن التي اشتهرت بأسماء جديدة وأزال الأسماء التي لم تعد تُستخدم ليفهمها الناس المعاصرين مثال: تكوين 14: 14 كان "لايش" هو الاسم القديم للمنطقة التي سُميت "دان" فيما بعد.

***

ينقسم سِفر عزرا إلى قسمين:

القسم الأول: رجوع بعض اليهود من بابل بقيادة زربابل وإقامة الخدمة الدينية في أورشليم وبناء الهيكل رغم مقاومة السامريين.

القسم الثاني: الخبر برجوع جماعة ثانية من المسبيين بقيادة عزرا وفصل النساء الوثنيات، وفي القسم الثاني تأتي أخبار نحميا وأيوب وأستير.

ـ سِفر المزامير: وهو الأناشيد الدينية التي وضعها الملك داوود.

ـ سِفر الأمثال: وهي أمثال سليمان بن داوود في زمنِ حكمه، وتُعتبر أشهرِ مجموعة أمثال في العالم، ويتضمن هذا السِفر نظام العبرانيين الأدبي وينقسم إلى:

أولًا: مدح الحكمة، والفكرة الأساسية في ذلك هو أن رأس الحكمة مخافة الرب، ويُوضّح هذا الفكر بالإشارات إلى نتائجه ونتائج خلافه، ولا سيما الانقياد إلى النساء الرديئات، وينتهي هذا القسم بدعوة قلبية من الحكمة إلى جميع الناس.

ثانيًا: مجموعة أمثال سليمان الخاصة الأدبية والعلمية.

ثالثًا: مجموعة أخرى أكثرها مختصّ بالفطنة والعدل، وبعض الأمثال في هذا الجزء تشبه في تركيبتها الأدبية وسياقها الرهباني الموسيقي الأمثال المصرية القديمة لأمون رع حيث يؤكد هذا التشابه التزوير التوراتيّ في أخذ الأمثال والحكم من الحضارات الكبرى وقت التدوين.

رابعًا: مجموعة أخرى لسليمان نسخها رجال حزقيا، وأمثال لغير سليمان أيضًا.

خامسًا: كلام أجور وكلام الملك لموئيل الذي تعلمه من أمه.

سادسًا: شعر مرتب على الأحرف الأبجدية يقصد به مدح المرأة الفاضلة.

***

كيفية نظم سِفر الأمثال:

الأمثال مرتبة في جمل متوازنة وعباراتها بسيطة أو مزدوجة أو مثلثة أو مربعة أو مخمّسة وحتّى المُسبّعة أيضًا، وكل عبارةٍ مُركبةٌ من شطرين والنسبة بين أقسام المثل إما معنوية وإمّا لفظية. أما القسم الأول فيتضمن عبارات مزدوجة فقط، ومن العبارات البسيطة التي يوافق فيها الشطر الأول الثاني:

"يا بُني لا تنسى تعاليمي، بل ليحفظ قلبك وصاياي". الأمثال 1: 3

"فإن الذي يحبّه الرب يؤدبه، كما يؤدب الأب ابنًا يُسرُّ به". الأمثال 3: 12

"طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة، وللرجل الذي ينال الفطنة". الأمثال 13: 3

ومن العبارات البسيطة التي يقابل فيه الشطر الأول الشطر الثاني ولكنه يعاكسه في المعنى:

"الابن الحكيم يسر أباه، والابن الغبي يُحزن أمه". الأمثال 10: 1

"البغض يثير الخصومات، والمحبة تستر كل الذنوب". الأمثال 10: 12

"أجر الصديق للحياة، ربح الشرير للخطيئة". الأمثال 10: 16

ومن العبارات ذات ثلاثة أشُطر:

"مخافة الرب بغض الشر، الكبرياء والزهو وطريق الشر، وفم الأكاذيب أبغضت". الأمثال 8: 13

ومن العبارات ذات السبعة أشطر:

"طوبى للإنسان الذي يسمع لي، ساهرًا عند مصاريعي يومًا فيومًا، حافظًا قوائم أبوابي، فإن من يجدني يجد الحياة وينال رضىً من الرب، ومن يخطئني يضر نفسه، جميع من يبغضونني يحبون الموت". الأمثال 8: 34 ـ 36

***

تأليف سِفر الأمثال وقيمته:

مما تقدم رأينا بأن سليمان مؤلّف أكثرها، غير أن بعضها نُسبت بشكل صريح إلى مؤلفين آخرين، فإن نسبته للمجموع كنسبة داوود للمزامير، واشتهر سليمان بنظم الأمثال، ولحسن الحظ وُجد الكثير منها في سِفر الأمثال، ويُظن بأن جمع هذه الأمثال قد تم في زمن حزقيا.

إن أمثال سليمان تفوق جدًّا حكمة حكماء الأمم القديمة، وهي أساس حكمة المستحدثين، والموضوع الذي يتناوله سِفر الأمثال هو الحكمة، وهي من الله، وينبغي أن تسود الحكمة علائق الإنسان بالله

وتسيرها، وتتطلب الحكمة في حياة الإنسان الشخصية، أما الحكمة في الحياة الاجتماعية فتتطلب الامتناع عن الزنا وضبط اللسان والأمانة في الحياة الزوجية وتقديم الخير والمعروف للفقراء، وتتمثل الحكمة في إصحاحي 8 و 9 يسوع المسيح وهو نوع من النشيد، استخدمه المسيح والأنبياء في تعليمهم، وقد تكون الأمثال وجيزةً وقد تكون نبواتٍ أو حِكمًا رمزية، غير أن المقصود بالمثل غالبًا هو قصةٌ مؤسسةٌ على أمورٍ مفهومةٍ توضح المعانيَ الروحية. والأمثال في الكتاب المقدس تختلف عن الأمثال في غيره كأمثال عيوب في أن موضوعها مما يمكن حدوثه على الغالب، ومقصودها إيضاح أمور روحية للمؤمنين أو إخفاؤها عن غير المؤمنين، واتخذ قدماء العبرانيين طريقة الأمثال للتعليم والتنديد والإنباء والإنذار

***

القسم الثاني



- التشكيل الأول للمجتمع اليهودي:

مما مرَّ معنا في الباب السابق نرى: أن اليهود استطاعوا أن يجمعوا من الميثولوجيا القديمة والمحيطة بهم والقريبة منهم على اعتبارها حضاراتٍ قائمةً بذاتها ـــ وهي حضاراتٌ لمّا تزل إلى يومنا هذا حاضرة بآثارها وأوابدها العريقة ـــ استطاعوا أن يجمعوا من أساطيرها وقوانينها الاجتماعية والعامة خليطًا من التراث الخاص بحياتهم ليبتعدوا عن صبغة التشتتيّة في أصقاع المشرق متنقلين بهيئة قبائلَ رعويةٍ في شبه الجزيرة والعراق، مع عدم إغفال تعرضهم للسبي والغزو من المدن والدول المعاصرة لهم، ولنستطيع تصنيف تشكل بذرة المجتمع اليهودي سنقوم بتقسيم هذا التشكّل إلى مراحل بسيطة اعتمدناها على حسب روي التوراة والأساطير اليهودية وبعض المراجع الأثرية آنذاك:

ـ المرحلة الأولى: العبادة العشائرية المبكرة:

في حوالي الألف الثاني قبل الميلاد، تكونت القبائل اليهودية من مجموعات الرعاة البدوية المتنقلة والمرتحلة في شبه الجزيرة وأطرافها الشمالية ـــ العراق ـــ حيث كان نمط عيشهم عشائريٌّ قبليٌّ، يعتمد على الأسلاف في تركيبته البسيطة، وكانت هذه التركيبة متّصلةً بالبنية الاجتماعية لهذا المجتمع، حيث جاء في التوراة وفي سِفر صموئيل تحديدًا تجسيدُ الفكرة والانتماءِ العشائري، فذُكر فيه عن داوود قبل مرحلة الملك: "قبل أن يصبح داوود ملكًا دعاه الملك شاؤول إلى مأدبة في قصره ولكنه رفضها فقرر الملك قتله قبل أن يعود إلى بيت لحم مسقط رأسه"، وهذا يدل على أن القوة العشائرية لداود تكمن في موطنه الأصلي بيت لحم ليحتمي من بطش الملك وقوته.

وأيضًا نستنتج أن الشيوخ الأوائل الذين ذُكروا في التوراة "ابراهيم، إسحق، يعقوب، أيوب، وحتى موسى"، هم ليسوا إلّا شخصيات أسطوريةً في النسيج التوراتي لا تمتُّ للحقيقة بصلة، ولكن ذُكروا لتأكيد الحكم العشائري لدى هذا المجتمع البدائي.

***

ـ المرحلة الثانية: عبادة ما بعد القبر:

ترتبط هذه المرحلة بما قبلها من حضارات الفراعنة في أرض مصرَ وحضاراتِ البابليين والسومريين والفينيقيين في بلاد سوريا والعراق، لأن كل هذه الحضارات تعتبر الموتَ بوابةً إلى العالم الآخر ــ العالم السفلي ــ وتتطور القصة الأسطورية في هذه الناحية إلى أبعد من كونه قُدّاسًا جنائزيًّا لوداع الميت، وإنما تذهب على أنه سيعبر برحلة إلى العالم السفلي بعرباته وخدمه وأمواله وحاشيته ليستقر هناك تحت وطأة ملك الموت، فالفراعنة كانوا يقومون بالتحنيط للحفاظ على الجسد الذي ستعود إليه روحه بعد رحلتها إلى العالم السفلي، فكانوا يحتفظون بالجثة في قبر كبير (الهرم) مع ترك قارب من الخشب في الجهة الشمالية، وهو قارب ليركبه كبير الآلهة رع عندما يأتي بالروح إلى جسدها.

وكانت تبدأ الرحلة لدى السومريين إلى حيث (النهر هابور) وهو النهر الذي تعبره الروح على قارب خشبي إلى بوابات العالم السفلي، فيُعطى الحادي بعضًا من النقود المعدنية ــ وهو يرجح سبب وضع النقود مع الجثة في القبور السومرية ــ وباقي الحضارات أخذت تبني أساطيرها الخاصة في فكرة العالم السفلي أو ما بعد القبر، وجميعنا لن ننسى شخصية "هاديس" إله العالم السفلي لدى الإغريق وهو شقيق

زيوس وبوسايدون، وعليه نقول إن اليهود أخذوا هذه الثقافة مما هو حولهم وسطّروها في التوراة بقالبهم الخاص فمثلًا: في الخروج 34: 7 آمنوا بإمكانية دعوة ظلال الموتى والتحدث معهم، وفي سِفر صموئيل الأول 28: 7 ـ 10 قام الملك شاؤول بأمر الساحرات باستحضار ضل صموئيل المتوفّى، ومع هذا كانت أفكار ما بعد الموت ضحلة، فقد كان اليهود يدفنون الموتى في الأرض دون أي طقس من طقوس القداسة أو الطقوس الاحتفالية المعروفة وقتها ويُرجح ذلك منع سلطات الدول الكبرى المُسيطرة عليهم إقامةَ طقوس مشابهة لطقوسهم بسبب النظرة الدونية لهذه الشرذمة من الناس.

***

ـ المرحلة الثالثة: العبادة الرعوية المستقرة:

إذا ألقينا الضوء على عيد القربان الربيعي الأول نستطيع أن نحدد المدة التي استقرت فيها الفكرة اليهودية في العمل الرعوي المستقر، حيث تحوّل هذا العيد بعد فترة وبعض النظر عن التابو أو الطوطمية للعنزة حيث عُرفت هذه الحالة بالاسم "عزازيل"، وهو المجيء بعنزة قربانًا وفي اللحظة المحددة من قبل الحاخامات يُرمى بالعنزة عزازيل في الصحراء بعد أن تكون قد حملت على رأسها ذنوب وأخطاء الشعب كله ــ ومن هنا جاءت كلمة كبش فداء ــ وقد ذُكر هذا الطقس في الكتاب المقدس في سِفر اللاويين 16: 7 وأيضًا في مواقع عدة من الكتاب، ففي سِفر الخروج 12: 23 الروح القاتلة التي تأتي لتدمر كلَّ البكارة لدى المصريين وترأف بالبكارة عند اليهود، وبعث يهوه في سِفر القضاة 9: 23 بروح الشر إلى شعبه المختار حيث قامت هذه الروح بزيارات عدة للملك شاؤول لتذيقه أنواعًا من العذاب السرمد، وأيضًا يُرسل الإله في أحد نصوص الكتاب "روح الإفك" إلى الناس في سِفر الملوك الأول 22.

ووجود عبادة القمر لدى شعوب المنطقة يدل على أن اليهود استقروا في هذه المدّة في مكان ما، حيث كان التقويم الرعوي مرتبط بالتقويم القمري، وكان الاحتفال بيوم أول ظهور للقمر هو يوم

السبت وليس يوم نهاية العمل والراحة، وكانوا يحتفلون فيه بما يُسمّى عيد أول الشهر الملكي في سِفر الملوك الأول 20: 5.

ولتأكيد المرحلةِ الرعوية لدى القبائل اليهودية نستطيع رفع النقاب عن المحظورات والمحرمات لديهم من تلك المرحلة: مثلًا الجمل كان مُحرمًا ذبحه من أجل الطعام، وهذا يدل على أن الجمل كان أهم وسيلة للانتقال في صحراء شبه الجزيرة العربية الشاسعة لنقل الأغراض والمستلزمات للبدو الرّحل، وباقي التحريمات الغذائية فقدت حرمتها الاقتصادية لتلتف بعباءة التابو والتحريم الرّباني المرعب.

***

ـ المرحلة الرابعة: مرحلة الأسر وما بعده:

تُسمى هذه المرحلة "المعبد الثاني" حيث حدث فيها ثلاثة أمور مفصلية وهي:

1 ـ الإصلاح الديني الذي نفّذه كبير اليهود يشوع عام 621 قبل الميلاد الذي أدى إلى صرامة في مركزية العبادة.

2 ـ احتلال القدس من قبل ملك بابل وسبي اليهود ـــ أي القبائل البدوية ـــ في المناطق المجاورة لها عام 586 قبل الميلاد.

3 ـ عودة الأسرى من الأسر في عهد الدولة الفارسية المدنية عام 533 قبل الميلاد.

إذ بدأت هذه المرحلة بشكل تقريبي بعدَ استقرار اليهود وتحولهم من بدو رحّل إلى سكان محليين تعايشوا مع السكان الأوائل في المناطق التي ضمّتهم وغيرهم، وبدأت حياتهم تتجه باتجاه التجارة، وقد تميزوا في تجارتهم بالغش والربا، وهذا ما جعل منهم أصحاب ثراء بالنسبة لغيرهم من السكان والأهالي، وحيث إن اليهود قد استقروا في أماكن رعوية وزراعية مهمة كان لا بدَّ من تعرضهم لهجمات جيوش الدول الكبرى المتاخمة لمناطقهم، فتعرضوا للسبي بعد استيلاء الدولة البابلية على الأراضي والقرى والمدن بمجمل حملاتها التوسعية في زمن قوتها وتوسعها، وكما ذكرنا في كتاب "معتقدات مظلمة" عن السبي البابلي

والحضارة الفارسية بعده، نؤكد الآن فكرة السبي وما بعده، حيث خرج اليهود من السبي بمؤامرة من مُخلّصة اليهود "أستير" التي استطاعت خداع الملك بمساعدة عمّها وخلصت شعبها من السبي فعادوا إلى مناطق رعوية ليستقروا تحت جلباب الدولة الفارسية الحديثة والكبيرة، وكان قاضيهم عندها أو المخول بتسيير أمورهم هو الكاتب عزرا الذي أقرّه الملك الفارسي وأعطاه السلطة لينفذ القانون المدني على شعبه.

فبعد سقوط الدولة البابلية على يد الفرس الإخمينيين عام 533 قبل الميلاد، وبعد العودة من الأسر، بدأت التناقضات تظهر في الارستقراطية الزراعية ومالكي العبيد، وبما أن اليهود قد خرجوا من نير العبودية بعد الأسر رفضوا التبعية لمن هم من غير اليهود:

"كان صراخ الشعب ونسائهم عظيمًا على أخوهم اليهود، وكان من يقول بنين وبنات كثيرون، دعنا نأخذ قمحًا فنأكل ونحيا، وكان من يقول حقولنا وكرومنا وبيوتنا نحن راهنوها حتى يأتينا قمحًا فنأكل ونحيا من الجوع". سفر نحميا 5: 1 ـ 3 ـ 5.

***

- المرحلة الخامسة: عبادة يهوه:

إن موضوع أصل منشأ الإله يهوه وهو الإله القومي لدى اليهود، قد أصبح خالقًا للكون بعد أن كان محليًّا عشائريًّا، والأداة الوحيدة للعبادة اليهودية، وهذا كله بعد أن رأوا وهم في السبي الحضارة البابلية بمعابدها وآلهتها، والحضارة الفارسية بقدسيتها وعبادها.

إن هذه الشخصية المركزية في الدين اليهودي، لم تكن تُعرف بهذا الاسم، حيث كان يُقرأ سابقًا "يعوا أو ييهووا"، وعلى الأغلب أنّ صيغة الاسم القديم كانت "ياهو"، وهذا كله بسبب صعوبة تكوين الفهم الإلهي الموثوق به، وبالعودة إلى الوثائق الأقدم من التوراة نلاحظ أن يهوه لم يكن إلهًا لليهود أصلًا بل كان إلهًا محليًّا للقبائل الميديانية المستوطنة شمال سيناء على تخوم المدنية الفرعونية، وهذا موثّق في قصص التوراة في الخروج 2: 15 ـ 22 إذ إنّ موسى كان زوج ابنة كاهن مديان والذي ذكر اسمه "شعيب" في بعض المراجع، وعاش معهم في نفس الأرض بعد أن هرب من مصر نتيجة اقتتاله مع قائد من الفراعنة لأنه أشفق على أحد العبيد اليهود وقتل ذاك الأمير، وكان يرعى الغنم لعمّه والد زوجته، وفي أحد المرات في شبه جزيرة سيناء قام فاعتلا فوق جبل "حوريب" فظهر له يهوه يحدّثه من جذع شجرة يابسة، وبقي اليهود يعبدونه منذ ذلك الوقت.

إن سمات الروح الخالقة المعبودة في هذه الديانة هي التابو الربّاني شديدَ الحرص، وحسب ما جاء في الكتاب المقدس فإن يهوه يلح لأن يكون جميع عبّاده من المختونين، وهذه العادة سحيقة في القدم بلا أدنى شك، وينسب الكتاب المقدس هذا لإبراهيم الذي أمره يهوه بذلك في سفر التكوين 17: 10 ـ 12 بقوله: "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يُختن منكم كل ذكر فتُختتنون في لحم غُزلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم". وقد وضع اليهود هذه العادة ضمن كتاباتهم وتاريخهم المزور لأن عادات جميع القبائل السامية كانت ختان الأطفال دون سن الثمانية، وأيضًا الحضارة الفرعونية وخاصة البيت المالك، ولذلك تأكدت هذه الفكرة في التوراة وفي أكثر من موضع في أسفاره.

***

ـ المرحلة السادسة: الوحدانية والاصطفاء الإلهي:

بعد أن بدأ التشكيل التوراتي يتبلور ضمن تسلسل حدثي معين يبدو عليه الرتابة في أحداثه، كان لا بدَّ للحاخامات من تكبير رقعة ألوهيتهم، فأصبح يهوه إلهًا خالقًا بدأ بخلق الكون وأخذ وقتًا يُقدر بستة أيام واليوم السابع هو صباح السبت أخذ نفسًا عميقًا ليستريح من عمله المُضني، فبدأت الميثولوجيا التوراتية تنسج الأقاويل المتواترة عن البدء والتكوين والخلق، فترامت صور الحضارات المُعاصرة لها والسابقة لوجودها أيضًا لتختلط خيوطها بشبكة العنكبوت التوراتية فتأخذ منها نسيجًا متماسكًا متناسين أن هذه الشبكة واهيةٌ أمام التاريخ المدون والحقيقة الأثرية الخالدة.

الخطيئة الأولى والتي تجسدت بآدم بدءًا من أكل التفاحة، وهي إسقاط على الأساطير البابلية والسومرية حينها، فنحن نعرف ما معنى الشجرة والمعصية في هذه الديانات العريقة، فالخروج من الجنة.

والخطيئة الثانية ومقتل النبي هابيل عليه السلام على يد أخيه قابيل الذي خرجت من نسله كلُّ سلالات البشر ـــ بافتراض أن هابيل مات وهو أعزب ـــ إذا أردنا العودة إلى القصة الحقيقية بعيدًا عن لغو التوراة فهي في المراجع القديمة والقيّمة ومنها "عمدة العارفين" تأليف العلامة الشيخ "محمد الأشرفاني" وغرق قابيل وسلالته بالطوفان بعد

عصيانه، وهذا خطأ آخر في التوراة، حيث لا توجد معصية إلّا بعد طاعة، ومن بداية حياة قابيل كان عاصيًا وهذا افتراض وضعه اليهود لتكتمل قصته بدون أيّة عقبات، فرغبته بالزواج بأخته دون أي رادع وقتل أخيه بفك حمار دون أي مانع أخلاقي أو ديني يؤكد أنه خُلق عَصيًّا، ومن ثم قصة النبي يونس والحوت، والمرور إلى أكثر قصص الأنبياء غرابة وهو النبي إبراهيم الذي خرج من نسله أنبياء اليهود بالخطيئة التي ارتكبتها بناته عندما سقينه الخمر، وتناوبن على ممارسة الجنس معه؛ لكي ينجبن منه هذا النسل العريق، انتهاء بقصة موسى التي كانت هي البداية لكل هذا التأليف، فقد خرج موسى من ثمّ بدأت التوراة، ولكي تكون هناك فكرة تميز عند الديانة اليهودية وهذا نتيجة تعويض النقص الذي تراكم في الفكر اللاواعي لدى اليهود إثر السبي البابلي والاستعباد الذي أدى بمجمله إلى الخروج عن النظام العشائري القبلي فبدأت فكرة الشعب المُختار في أسفاره تطفو على السطح.

أخذت فكرة الاصطفاء تدوي في زمن ما بعد الأسر، بعد أن تحول يهوه من إله عشائري إلى إله خالق الكون ومالك ما عليه، وهنا يجدُّ السؤال: لماذا خلقَ يهوه شعبًا صغيرًا ضعيفًا ليكون هو الشعب المختار، مع أنه خلق كونًا واسعًا متراميَ الأطراف؟ ولماذا كان هذا الشعب بكل مراحله يخون إلهه ومن ثم يرسل هذا الإله العقاب، وبعدها يعود الشعب إلى جادة الصواب؟ تساؤلاتٌ كثيرة تناقض

الفكرة الاصطفائية، لكن لا حيلة بتغيير النص التوراتي ولو أنه محض أخطاء وتراتيبَ لسيرٍ غير مترابطةِ المعنى والمضمون، ومن أمثلة الاصطفاء الإلهي في التوراة:

"عندما كُلِّفَ عزرا من قبل الملك "أرتاكسيركس" الفارسي ببناء سور القدس عام 446 قبل الميلاد، بدأ العزل الصارم لليهود. فقام بمجموعة من التدابير التي نفّذها نحميا مثل إبعاد الأطفال غير المختونين من السكان غير اليهود وعدم الزواج من القبائل الأخرى: "أبعد كل الغرباء عن القبيلة عن إسرائيل لأنهم من الوثنيين الأنجاس" سِفر عزرا 9: 12 ـ 25 وعندها بدأت فكرة الجيتو أو العزلة الاجتماعِية التي ذكرناها في الكتاب السابق "العبادات الآثمة" التي لا زالت مستمرة إلى يومنا هذا، وتؤكد من خلال عنصرية هذا الشعب المُشتت الذي يحاول أن يعوض عن ضحالة تاريخية بأنه الشعب المختار لدى الخالق ضمن هذا التاريخ الممزق وغير المترابط بأي شكل من الأشكال."

***

ـ المرحلة السابعة: "دياسبورا" التشتت:

وقد بدأت ببدء التشتت والتهجير لليهود خارج حدود شبه الجزيرة العربية وسيناء وبلاد الشام في سنوات الفتح الآشوري والبابلي، في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، فقد كانوا يعيشون في مصر وسوريا وأسيا الصغرى وكثير من بلدان حوض المتوسط في العصر الهيلليني، وجاءت المرحلة الثانية من التهجير الجماعي الجماهيري بعد انتفاضة اليهود الأولى 66 ـ 70 والثانية 132 ـ 135 ميلادية على الحكم الروماني.

في زمن التشتيت بدأت تظهر المنظمات السيناغوغية اليهودية، وتعني باليونانية التجمع أو الحشد، وكانت هذه المنظمات مركزًا للحياة الدينية وبيتًا للصلاة وتولّى قيادتها أعضاء الجماعة الأقوياء ماديًا، ومنصب الرئاسة فيها تولاه "أرشيسيناغوغ" فكانت لها خزينتها المركزية وأملاكها ودخلها الخاصة، وجرت في السيناغوغات تلاوة النصوص المقدسة بعد كتابتها وتنظيمها، وإن أقدم ذكر للسيناغوغ قرب الإسكندرية في مصر وذلك في العصر الهيلليني في النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، ويجدر بالذكر أن هذه السيناغوغات لم تكن في أرض التشتت فقط بل كانت موجودة ضمن الأراضي المستقرة لليهود.

وكان لهذه المنظمات الفضلَ في نقل التوراة والثقافة الدينية اليهودية الجديدة إلى أعرق الحضارات حينها، وهي الحضارة اليونانية، حيث استخدم اليهود اللغة اليونانية ما عدا في سوريا ولبنان وفلسطين، فقد كانت اللغة المستخدمة هي "الآرامية" باعتبار أن الآرامية هي اللغة المتداولة في بلاد الشام وفلسطين لأن أتباع السيد المسيح يتحدثون بلغته الأصلية، وتعتبر ترجمة جميع نصوص التوراة والشروح والترجمات في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد إلى اللغة اليونانية دليلًا واضحًا على الهدف الأساسي لهذه المرحلة وهو نقل الحضارة اليهودية المُصطنعة والتي لم تستطع التضخم في كنف الحضارات المعاصرة لها من المحلية إلى العالمية في العالم القديم، وأدّى ظهور "التوراة اليوناني" إلى تقارب الفلسفتين الدينيتين اليهودية والهيللينية بعد أن تغيرت بعض البُنى التفصيلية في التوراة لتتماشى مع الحضارة اليونانية القديمة، حيث نشأت نتيجة هذه الترجمات وهذا التقارب الفكري النظرية المثالية المتماسكة "نظرية العارفين"، وهذا يعني خلاص اليهود وبشكل شبه كامل من الانغلاق الديني الذي أحاط بهم في زمن المعبد الثاني، وهنا بدأ الإله القبلي يهوه بالنمو الحذر والمدروس واتخاذ أتباعٍ له يعبدونه بالظهور ــ من غير اليهود ــ والذين عُرفوا "بحديثي العهد"، وقد تعرّضوا للختان بشكل إلزامي بعد اعتناقهم اليهودية، وهذه المرحلة التي عُرفت باعتناق أفراد من الوثنيين اليهودية للحصول على السلطة والثراء الفاحش باعتبار أن

هذه المنظمات اليهودية مستقلة ماديًّا وتملك السلطة الكبيرة بسبب التشتت في الأرجاء والاتصال المباشر مع قادتها، سُميت ضمن مرحلة التشتت "بروزيليتزم"، وطُبعت مرحلة التشتت بطابع خاص وهو الانتشار الديني الواسع.

***

القسم الثالث



التعاليم الدينية:

إن التعاليم الدينية المرتبطة بكتاب التوراة ــ كامل الأسفار ــ بُنيت على أساسٍ تحريمي غير قابل للنقاش أو الشك في أي بندٍ من بنوده، مع العلم أن هناك سيرًا وقصصًا تنافي العقل والمنطق ضمن صفحاته، وهذا ما تكشّف لنا فيما سبق من فصول هذا الكتاب، لذا سنتحدث عن هذه التعاليم الدينية اليهودية بشقّيها: التوراتي والتلمودي، ليتبين لنا البنية الأساسية لأصل التعاليم الموجودة بين أيدينا.

فالتعاليم الدينية التوراتية والتلمودية وهي التعاليم التي سنّها موسى في وصاياه العشر، والتي أخذ الحاخامات بتفسيرها وشرحها لكلِّ الشعب اليهودي، هذه التعاليم كانت موجودة مُسبقًا وقام

بشرحها عزرا للشعب على مُدّة أيام عندما عادوا من الأسر البابلي بأمر من الملك الفارسي، فانتُدب عزرا ليشرح للشعب العائد تعالم وفكر القانون المدني الجديد، وتأكد هذا الحدث في نص التوراة ذاته[5] وفي أكثر من مكان، وسنأخذ أولًا الوصايا العشرة التي سنّها المُشرع اليهودي موسى بن عمرام عند نزوله من الجبل في سيناء لندرس كلًّا منها على حدة.

ـــ الوصية الأولى في هذه الوصايا "الوحدانية" أي عدم مُشاركة إله آخر العبادة بجانب يهوه، وهذه الوصية قام بتأكيدها الحاخامات في البداية التوراتية لكثرة الآلهة المعبودة في فترة السبي البابلي، وهذا ما قضّ مضجع الأحبار والحاخامات الأوائل، أي أن وجود فكرة الوحدانية في العبادة اليهودية سيضمن تفوق "يهوه" المعبود على خصومه وانتقاله من إله عشائري قبلي إلى إله كليٍّ عامٍ خالقٍ الكونَ برمّته.

ـــ الوصية الثانية: هي "محاربة الوثنية" وهذه الفكرة شاركت الفكرة الأولى وأكدها في الوحدانية، بحيث كانت الحضارة البابلية والأشورية والفارسية معتمدة في دياناها القديمة على الوثنية والتجسيم، وفي مصر أيضًا نالت العبادة الوثنية حصةً في قدسيتها،

---

[5] معتقدات مظلمة ـــ د. أيوب الحجلي / دار الأيام للنشر ـــ الأردن طبعة ثانية 2016 صفحة 27.

فمحاربة الوثنية كانت من الأسس الأولى في إنشاء التعاليم الدينية التوراتية، علمًا أن هناك وثنية يهودية إلحادية ظهرت في أسفار الكتاب المقدس وضمن التعاليم والممارسات اليومية[6] فكانت تقود القدسية التوراتية إلى هوّة التشاركية الإلهية، وبهذا تكون الوصية الثانية قد لغت قدسية الأولى.

ــ الوصية الثالثة وهي "عدم النيل من اسم الرب بأي كلمة غير ملائمة لمكانه العالي" وهي تؤكد على المتدينين اليهود أن يذكروا إلههم بالتمجيد والتبجيل، وقد خالف التلمود هذه الوصية بالنيل من مرتبة الخالق ووقوعه تحت الخطأ والطيش أحيانًا[7].

ــ الوصية الرابعة: وهي "العطلة يوم السبت" لأن الخالق قام بخلق العالم كما صار معروفًا لدينا ومن ثم استراح، وذلك صباح السبت أو بتفصيل أكثر ليلة الجمعة، وللامتثال بالرب على كل يهودي التيمن بتصرفات خالقه، وهذا القول يُظهر العجز الإلهي عن خلق الكون بلمح البصر، وتأكيد قدرة الخالق وعظمته كما ورد في الآية القرآنية الكريمة:﴿ إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فيكُونُ﴾[8].

---

6 العبادات الآثمة ــ د. أيوب الحجلي ــ دار الحروف للنشر / السويداء، طبعة أولى 2012 ــ صفحة 23.

7 معتقدات مظلمة ــ مرجع سابق.

8 سورة يس الآية 82.

وجاء عجز الخالق اليهودي التوراتي أيضًا في عدم قدرته مقاومة حواء الجميلة التي عقص شعرها واعتبرها عشيقته الحلوة من بعد آدم[9].

ـــ الوصية الخامسة وهي "إكرام الأب"، فقد قام ملوك اليهود الأوائل بنقض هذه الوصية وهم الكبار في المترلة الدينية باعتبارهم مؤسسي الدين المقدس وأنبياءَهُ وأبطال رواياته، نرى مثلًا هنا: أن ابن الملك داود "أوريا" الذي ثار على أبيه، وذلك لمعرفته أن داود سيملّك سليمان على حكم مملكة اليهود من بعده، وهناك أيضًا الكذبة التي اصطنعها أخوة يوسف بقولهم إن الذئب أكل يوسف وحرموا أباهم العجوز من رؤيته مدة طويلة حتى كفَّ بصره من البكاء لفقدانه.

ـــ الوصية السادسة وهي "لا تقتل" أو عدم القتل: وطبعًا ضمن التوراة أمثلة كثيرة عن الإجرام الدموي والقتل المُباح، فنبدأ بيهوه الذي كان إذا عصف الطيش أفكاره قتل من أبنائه الكثيرين ليتعلّموا أن العقوبة نجاة، وأيضًا ضمن التلمود هناك ما أكد إباحة القتل، فكان الفطير المقدس والإجرام للشعوب غير اليهودية لأنها من نطفة حمار ـــ على حد قول التلمود ـــ ولا ننكر انتشار الدموية بين الشعوب

9 معتقدات مظلمة ـــ مرجع سابق صفحة 55.

اليهودية المشتتة لتصنع لها تاريخًا سرابيًّا في صفحات الأيام، ولا داعي لذكر الأمثلة الإجرامية ولدينا المثال الأكبر، وهو فلسطين المحتلة.

ـــ الوصية السابعة وهي "لا تزنِ" وقد تنتابنا موجة من الضحك إلى نهاية الوصية وتعاليمها، ولندل على أن اليهود بنوا توراتهم على فكرة الزنا المُحرّم سنذكر قصة هابيل وقابيل، حيث قتل قابيل أخيه هابيل لأنه منعه من أن يتزوج أخته، لاعتبارها جريمة أخلاقية ودينية كبيرة، فقتله وتزوجها، إذًا نسل اليهود من أخ وأخته! وقبل ذلك آدم وحواء حيث تكاثرا وهما اثنان فقط على الأرض، وقصة إبراهيم عندما أقدمت ابنتاهُ على إسكاره حتى الثمالة وتناوبتا على اغتصابه لتنجبا منه.

وفي التلمود الكثير من الأمثلة على ذلك فمثلًا: تحليل زنا الرجل بأمه وأخته وابنته وخطيبته، وهذا مؤكد في التفاسير اليهودية للتلمود، وقد ذكرناها في الكتاب الأول "معتقدات مظلمة" بشكل موسع أكثر من ذلك، وأيضًا ممارسة عائلة روتشيلد هذا التقليد بأن يتزوج الشخص ابنة أخيه أو ابنة أخته لكي لا يختلط دم هذه العائلة بدماء غريبة.

ـــ الوصية الثامنة وهي "لا تسرق"، وقد بدأت الرحلة العبرانية بالسرقة والنهب، وهذا عندما أمرهم يهوه بالخروج من مصر، فقال لهم موسى أن يسرقوا من جيرانهم المصريين المتاع والأغراض قبل

خروجهم بليلة واحدة، حيث ورد في سِفر الخروج 3: 22 " هكذا يقول الرب آباؤكم إبراهيم وإسحق ويعقوب يقول: تطلب كل امرأة من جارها ومن نزيلة بيتها أمتعة وفضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين".

وورد في التلمود أن السرقة والسلب مُحللة للشعب اليهودي، وأمثلة هذا كثيرة فمثلًا: "اليهود مساوون العدالة الإلهية، والدنيا بما فيها ملك لهم، ولهم حرية الاستيلاء على أموال الآخرين وسلبهم بدون مخالفة شرع الله"[10].

ـــ الوصية التاسعة: وهي "لا تشهد على قريبك شهادة زور"، وقد ورد في تعاليم التلمود مشاركة اليهود بعضهم في شهادة الزور على غير اليهود، وكانوا يجتمعون ليتباهوا بقدرتهم بالغش والربا، ويُحرّم على اليهود غش بعضهم البعض أو شهادة الزور على بعضهم، وفي التوراة أحداث مخالفة لهذه الفكرة ضمن سفر الملوك وصموئيل، حيث اتسمت مرحلةُ هذين السِّفرين بالأحداث الدموية الداخلية بين بعض اليهود وبعض، وإذا اتبع اليهود هذه الوصية لعاشوا كأسرة واحدة لا يُعكر صفوهم طارئ.

---

10 جيمارا صفحة 36.

ـ الوصية العاشرة وهي "لا تشته بيت قريبك، ولا تشته امرأة قريبك، ولا عبيده ولا أمتعته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئًا مما لقريبك"، وإذا عدنا إلى التوراة قبل التلمود لرأينا أن هذه الوصية عمل بها اليهود بشكل حرفي، فاليهودي لا يشتهي زوجة قريبه! إنما يشتهي أخته وأمه وابنته.

وورد في التوراة وفي أكثر من موقعٍ عن خطيئة بطاركة اليهود أو أول الملوك اليهود، ففي التكوين 11: 27 "اتخذ إبراهيم من أخته سارة زوجةً له كما اتخذ أخوه ناحور ابنة أخيه زوجة له"[11] وقد تحدّثنا في وصية الزنا ما يوجد في صفحات التلمود عن هاتين الوصيتين السابعة والعاشرة ولا داعي لإطالة الشرح والإعادة.

وبنهاية هذا البحث نستطيع تشكيل الفكرة الموحدة عن التلفيق التوراتي برمّته، وعلى الأسس التي بُني عليها الفكر الديني اللاهوتي التوراتي ضمن التوراة وثم التلمود فيما بعد، وخاصة في الزمن الأول للديانة المسيحية، حيث أكد وجود السيد المسيح حقيقة الدين وأصوله الربّانية المؤيَّدة بمعجزاتٍ نبويّةٍ حقيقية، فعمل اليهود على تأليف التلمود وترجمة أسفار التوراة لينتقل عملهم وتاريخهم من فكر إلهي إلى فكر سياسي بحت، وبعد مجيء خاتم النبيين حاربه اليهود في

[11] معتقدات مظلمة ـــ مرجع سابق صفحة 45.

يثرب بعد أن كانوا يهددون العرب به فيقولون: "إذا جاءنا النبي المنتظر سنضربكم ضرب عاد"، وبعد أن أتى الرسول الكريم وتأكدت دعوته ورسالته النبوية، أنكروا عليه وأكدوا أنه ليس هو المنتظر كما فعلوا بالمسيح من قبله، وهذا ليبقوا شعب الله المختار أمام جميع شعوب الأرض.

وفي الباب القادم من هذا البحث سنتحدث عن بعض أساطير اليهود الحديثة والتي أُعدت وغذّت بها شعوب الأرض، وهذا نوع من أنواع السيطرة الفكرية على البعد الديني لدى الأديان كُلِّها، وسنذهب على الأفكار والقصص المؤكدة من باقي الأديان والتي أكدها اليهود لتكون مصداقيتهم على ألسن أنبياء الله المعروفين.

الباب الثالث

أَسَاطِيرُ نِهَايَةُ الزَّمَانِ

الأعور الدجال

والنبي الجديد

الثنائية الكونية ظهرت مع بداية الخلق وبداية التكوين الديني اللاواعي في العقلية القديمة، التي اعتمدت على الرمزية في كل مناهجها وأساليبها الدينية، وإذا قمنا بتتبع السيرة الذاتية للأعور الدجال، سنلاحظ وبشكل واضح الأصول الأسطورية لهذه الشخصية، بمعنى أن الأعور الدجال هو الحالة المتطورة لإبليس، وإذا عُدنا بالدّجال إلى الأساطير القديمة اليونانية والرومانية سنجد أنه موجود في هاتيك الأساطير، حيث إنه ذُكر الأعور في "الأوديسة" ملحمة هوميروس الخالدة، وهو الشخص الذي يُدعى "سيكلوب" في تلك الجزيرة التي ارتمى فيها أوديسيوس ورجاله بعد عصف الأمواج الغاضبة بسفينته، وهذه العقوبة من زيوس كبير مجمع الآلهة لأنه اقترح

أن يصنع أهل أثينا حصانًا خشبيًّا لفتح طروادة، وهو ـــ الأعور ـــ الشخصية الأولى التي تُعطي الصفات عن مخلوق غريب وذي قوىً خارقةً نوعًا ما، وما ميزه أنه بعين واحدة.

وقد انتشرت الصورة المماثلة لهذه الشخصية في الثقافات الفينيقية والبابلية والسومرية والأكادية والآشورية، على أنها شخصية خارقة، وقد أُنزلت في التوراة هذه الشخصية ضمن قصة العماليق الذين حاربهم الراعي داود وهو فتىً صغيرٌ.

وظهور الدجال في الثقافة العربية هو في الوقت المُعاصر لحياة الرسول الكريم حيث ورد ذكره في مكانين من الأحاديث الشريفة، وفي كلتا الحالتين تبلورت صفاته العامة، ولو كان هناك خطأ توثيقي أو غير مؤكد المصدر في الصحيحين، بيد أن هناك ما يؤكد وجود شخصيتين له وهما:

ـــ الشخصية الأولى: وهو رجل لا يعلم أحد ولادته أو تاريخ ميلاده الحقيقي، وهو موجود في جزيرة معزولة عن العالم آنذاك، وذُكر في الصحيحين عن تميم الداري ورفاقه أنهم شاهدوه ووصفوه بأنه أعظم مخلوق على وجه الأرض.

ـــ الشخصية الثانية: وهو غُلام يهودي ابن صياد كان يعيش في المدينة المنورة حياة النبي العربي ووردت عنه الكثير من الأحاديث في الصحيحين بأنّ رسول الله وأصحابه كانوا يعتقدون أنه هو الدجال،

وكان سيدنا الفاروق عمر يحلف عليه عند الرسول، فلم يكن يُنكر عليه هذا.

والصفة العامة للدجال كما ذكرها النبي العربي:

1 ـ يعلم الغيب.

2 ـ يرزق من يشاء دون حساب.

3 ـ يمنع الرزق عمّن يشاء.

4 ـ يحيي ويُميت.

وورد أيضًا عن صفاته في الصحيحين، عن الرسول ﷺ قُلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الرياح، فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتُنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعًا وأمدّه خواصر، ثم يأتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرُّ بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزءين، ثم يعيده فيقبل ويتهلل وجهه بالضحك[12].

---

[12] رواه مسلم.

وسُمّي الدجال بالمسيح لأن إحدى عينيه ممسوحة، قال النبي: "الدجال ممسوح العين" وسُمّى بالدجال لأنه يغطي الحق بالكذب والباطل فهذا دجل فسمّيَ بالدجال، وفتنة الدجال فتنة عظيم!

وزمن ظهور الدجال بحسب الأحاديث النبوية الشريفة كما جاء التالي: "قال رسول الله: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شيء تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا: نعم، قال: أما إنه يوشك ألّا يُثمر، قال: أخبِروني عن بحيرة طبريا، قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب"[13].

وفي الكتاب المقدس "الإنجيل" كان ذكر الدجال في أكثر من موقع مثلًا: في رؤيا يوحنا ـــ الإصحاح 13: 1 ـ 8:

"ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى رَمْلِ الْبَحْرِ، فَرَأَيْتُ وَحْشًا طَالِعًا مِنَ الْبَحْرِ لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى قُرُونِهِ عَشَرَةُ تِيجَانٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ اسْمُ تَجْدِيفٍ. وَالْوَحْشُ الَّذِي رَأَيْتُهُ كَانَ شِبْهَ نَمِرٍ، وَقَوَائِمُهُ كَقَوَائِمِ دُبٍّ، وَفَمُهُ كَفَمِ أَسَدٍ. وَأَعْطَاهُ التِّنِّينُ قُدْرَتَهُ وَعَرْشَهُ وَسُلْطَانًا عَظِيمًا. وَرَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْ رُؤُوسِهِ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ لِلْمَوْتِ، وَجُرْحُهُ الْمُمِيتُ قَدْ شُفِيَ. وَتَعَجَّبَتْ كُلُّ الأَرْضِ وَرَاءَ الْوَحْشِ، وَسَجَدُوا

---

[13] رواه مسلم.

لِلتِّنِّينِ الَّذِي أَعْطَى السُّلْطَانَ لِلْوَحْشِ، وَسَجَدُوا لِلْوَحْشِ قَائِلِينَ: «مَنْ هُوَ مِثْلُ الْوَحْشِ؟ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَارِبَهُ؟» وَأُعْطِيَ فَمًا يَتَكَلَّمُ بِعَظَائِمَ وَتَجَادِيفَ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا أَنْ يَفْعَلَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا. فَفَتَحَ فَمَهُ بِالتَّجْدِيفِ عَلَى اللهِ، لِيُجَدِّفَ عَلَى اسْمِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي السَّمَاءِ. وَأُعْطِيَ أَنْ يَصْنَعَ حَرْبًا مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَيَغْلِبَهُمْ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَأُمَّةٍ. فَسَيَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ، الَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْحَمَلِ الَّذِي ذُبِحَ. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ".

وأيضًا في رؤيا يوحنا ــ الإصحاح 17: 8 ـ 13 نجد:

"الْوَحْشُ الَّذِي رَأَيْتَ، كَانَ وَلَيْسَ الآنَ، وَهُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَصْعَدَ مِنَ الْهَاوِيَةِ وَيَمْضِيَ إِلَى الْهَلاَكِ. وَسَيَتَعَجَّبُ السَّاكِنُونَ عَلَى الأَرْضِ الَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، حِينَمَا يَرَوْنَ الْوَحْشَ أَنَّهُ كَانَ وَلَيْسَ الآنَ، مَعَ أَنَّهُ كَائِنٌ هُنَا الذِّهْنُ الَّذِي لَهُ حِكْمَةٌ! السَّبْعَةُ الرُّؤُوسُ هِيَ سَبْعَةُ جِبَالٍ عَلَيْهَا الْمَرْأَةُ جَالِسَةً. وَسَبْعَةُ مُلُوكٍ: خَمْسَةٌ سَقَطُوا، وَوَاحِدٌ مَوْجُودٌ، وَالآخَرُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ. وَمَتَى أَتَى يَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى قَلِيلًا. وَالْوَحْشُ الَّذِي كَانَ وَلَيْسَ الآنَ فَهُوَ ثَامِنٌ، وَهُوَ مِنَ السَّبْعَةِ، وَيَمْضِي إِلَى الْهَلاَكِ. وَالْعَشَرَةُ الْقُرُونُ الَّتِي رَأَيْتَ هِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ لَمْ يَأْخُذُوا مُلْكًا بَعْدُ، لَكِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ سُلْطَانَهُمْ كَمُلُوكٍ سَاعَةً وَاحِدَةً مَعَ الْوَحْشِ. هؤُلاَءِ لَهُمْ رَأْيٌ وَاحِدٌ، وَيُعْطُونَ الْوَحْشَ قُدْرَتَهُمْ وَسُلْطَانَهُمْ".

فالسبعة رؤوس أو السبعة ملوك ترمز إلى سبع ممالك تظهر على مسرح التاريخ وعلى مر العصور، وعندما جاءت الرؤيا ليوحنا في عصر الإمبراطورية الرومانية كانت خمس ممالك منها قد سقطت:

1 ـ المملكة البابلية.

2 ـ المملكة الفرعونية.

3 ـ مملكة الكلدانيين.

4 ـ مملكة مادي وفارس.

5 ـ المملكة اليونانية.

ــ وواحد موجود وترمز إلى الإمبراطورية الرومانية التي كانت تسيطر في تلك المرحلة.

والأعور الدجال في الديانة اليهودية يُمثل القوة الشريرة التي ستظهر لتبدأ بظهورها نهاية الزمان، فهو صاحب سلطة خارقة، يميت ويحيي ويشفي المرضى، ولديه القدرة على رزق العالم ومنع الرزق عنهم، وإذا رأينا قصة النبي داود مع قوم العماليق ــ كما ذكرنا آنفًا ــ نرى التفوق اليهودي على الأشرار، وأيضًا قصة شمشون الجبار ودحره لأعدائه وهدم المعبد الكبير، فالأعور الدجال سيخدم التفوق اليهودي فيما بعد على حسب الروي التوراتي، لأن المنتظر المخلص سيكون من الشعب اليهودي وهو الذي سينهي سلطة

الأعور الدجال وشره وسينشر في المقابل السلام والعدل على أرض الميعاد، وتوافق هذه القصة الأسطورية ما جاء في نصوص التلمود المقدس حول استعباد واستغلال "الجويم" والمؤيدة في التوراة بفكرة سبي الأرض وإباحتها لليهود أو للشعب المختار، وتطبيق الفكر العدواني الدموي وتبريره من جهة دينية ربّانية وحسب.

***

المهدي المنتظر

ونهاية الزمان

المهدي المُنتظر ونهاية الزمان على يديه، هذه الفكرة المتباعدة في القِدم، أي فكرة "المُنقذ العظيم" الذي سينشر العدل والرخاء بظهوره في آخر الزمان، ويقضي على الظلم والعدوان والاضطهاد في أرجاء المعمورة، ويُحقق العدل والمساواة، فكرة آمن بها أهل أغلب الديانات، واعتنقتها معظم الشعوب.

صدّق بها الزراداشتيون بانتظار عودة "بهرام شاه"، واعتنقها المسيحيون الأحباش بترقّبهم عودة ملكهم "تيودور" كمهديٍ في آخر الزمان، وكذلك الهنود اعتقدوا بعودة إلههم "فيشنو" ومثلهم المجوس إزاء ما يعتقدونه من حياة "أُوشيدر" وهكذا نجد البوذيون ينتظرون

ظهور "غوتاما بوذا" كما ينتظر الإسبان ملكهم "روذريق" والمغول قائدهم "جينكيز خان".

وقد وُجد هذا المعتقد عند قدماء المصريين، كما وجد في القديم في كتب الصينيين، وإلى جانب هذا كله نجد التصريح من مفكري الحضارة وفلاسفتها بأنَّ العالم في انتظار المُصلح العظيم الذي سيأخذ بزمام الأمور ويوحّد الجميع تحت رايةٍ واحدةٍ وشعارٍ واحدٍ: منهم الفيلسوف الإنجليزي "برتراند راسل Bertrand Russell" حيث قال: إن العالم في انتظار مصلح يوحّد العالم تحت عَلَمٍ واحد وشعار واحد، وأيضًا العالم اليهودي "آينشتاين Einstein" صاحب النظرية النسبية بقوله: "إن اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء، ويكون الناس متحابّين متآخين ليس ببعيد"، والأكثر من هذا كلّه هو ما جاء به الفيلسوف والمفكر الديني والفلسفي الإنجليزي الشهير "برناردشو Bernard Shaw" حيث بشّر بمجيء المُصلح في كتابه المعروف "الإنسان والسوبرمان"، وفي ذلك يقول الأستاذ العربي الكبير "محمود عباس العقاد" في كتابه "برناردشو": يلوح لنا أن سوبرمان شو ليس بالمستحيل، وأن دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة.

أما في الدين الإسلامي فعلى اختلاف المذاهب والفرق يعتقدون بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان، حيث بشّر به النبي، ولا يختص هذا الاعتقاد بمذهب دون آخر، ولا فرقة دون أخرى.

ومن المصرّحين من علماء أهل السنة ابتداءً من القرن الثالث الهجري وإلى اليوم، أجمعوا على فكرة الظهور فهي محل اتفاقهم، بل من عقيدتهم والأكثر من هذا إفتاء الفقهاء بوجوب قتل من أنكر ظهور المهدي، وبعضهم قال: بوجوب تأديبه بالضرب الموجع والإهانة حتى يعود إلى الحقِّ والصواب على رغم أنفه ــ على حدِّ تعبيرهم ــ كما أنه هناك عدد من الفتاوى الصادرة عن المذاهب الأربعة حول عقيدة المهدي المنتظر.

ولهذا قال ابن خلدون مُعبرًا عن العقيدة الإسلامية بظهور المهدي: "أعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصر أنه لا بدَّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويُسمّى المهدي"[14] وقد وافقه على ذلك أحمد أمين الأزهري المصري فقال مُعبرًا عن رأي أهل السنة بها: فأمّا أهل السنة فقد آمنوا أيضًا، ثم ذكر نص ما ذكره ابن خلدون ثم قال: وقد أحصى ابن حجر الأحاديث المروية في المهدي فوجدها نحو الخمسين. ثم ذكر ما قرأه من كتب أهل السنة حول المهدي فقال: قرأت رسالة للأستاذ أحمد بن محمد بن صادوق في الرد على ابن خلدون سمّاها "إبراز الوهم المكنون في كلام

[14] تاريخ ابن خلدون 1: 555 الفصل 52.

ابن خلدون"، وقد فنّد كلام ابن خلدون في طعنه على الأحاديث الواردة في المهدي وأثبت صحة الأحاديث وقال: إنها بلغت التواتر.

وقال أيضًا في موضع آخر: قرأت رسالة أُخرى في هذا الموضوع عنوانها: "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" لأبي الطيب بن أبي أحمد بن أبي الحسن الحسني، وقال أيضًا: قد كتب الإمام الشوكاني كتابًا في صحة ذلك سمّاه: "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح"[15].

والمهدي عند الشيعة هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، وأولهم علي بن أبي طالب وذُكر بذلك الحديث: "المهدي حق وهو من ولد فاطمة"، وهو مقطوع بصحته ومُصرح بتواتره عند أهل السنة، وهو عند الشيعة المولود الثاني عشر لفاطمة عليها السلام، ثلاثة بالمباشرة وهم: الحسنان ومحسن، وتسعة بدونها وهم الأئمة من ولد الحسين عليه السلام، والأئمة الاثنا عشر هم:

ـــ الإمام الأول: الإمام علي المرتضى.

ـــ الإمام الثاني: الحسن المجتبى.

ـــ الإمام الثالث: الإمام الحسين سيد الشهداء.

ـــ الإمام الرابع: الإمام زين العابدين السجّاد وسيد الساجدين.

---

[15] المهدي والمهداوية صفحات: 104 ـــ 106 ـــ 109 ـــ 110.

ـــ الإمام الخامس: الإمام محمد الباقر.

ـــ الإمام السادس: الإمام جعفر الصادق.

ـــ الإمام السابع: الإمام موسى الكاظم.

ـــ الإمام الثامن: الإمام علي الرضى.

ـــ الإمام التاسع: الإمام محمد الجواد.

ـــ الإمام العاشر: الإمام علي الهادي.

ـــ الإمام الحادي عشر: الإمام الحسن العسكري.

ـــ الإمام الاثنا عشر: الإمام المهدي المنتظر.

والأئمة الاثنا عشر – عليهم السلام – مع إمام الأئمة النبي محمد وابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين – عليها لسلام – هم من أهل البيت، والأئمة الاثنا عشر تأكدوا حسب المصادر الإسلامية للسنة:

عن جابر بن سمرة أنه سمع رسول الله يقول: "لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش". ورد في صحيح البخاري وكتاب الأحكام.

وأخرج مسلم في صحيحه: عن جابر بن سمرة قال: "دخلت مع أبي على النبي فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم

اثنا عشر خليفة"، ثمَّ تكلم بكلام خفي عَلَي، فقلت لأبي ما قال؟ فقال: كلهم من قريش". في صحيح مسلم 1452 / 3 رقم 5.

وأمّا البخاري فيروي في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: "سمعت النبي يقول: " اثنا عشر أميرًا" فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه يقول "كلهم من قريش". في صحيح البخاري 101 / 9.

وأخرج الترمذي عن جابر بن سمرة نفسه قال: "قال رسول الله يكون من بعدي اثنا عشر أميرًا، ثمَّ تكلم بشيء لم أفهمه فسألت الذي يليني فقال: " كلهم من قريش".

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُويَ من غير وجه عن جابر بن سمرة، وفي الباب عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو.

وأمّا في سنن أبي داود يقول جابر بن سمرة ـــ الرواية عن جابر نفسه ـــ سمعت رسول الله يقول: "لا يزال هذا الدين عزيزًا إلى اثني عشر خليفة قال: فكبّر الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفيت، قلت لأبي: يا أبه ما قال؟ قال: قال: كلهم من قريش".

وأما عن أولاد الحسن – عليهم السلام – فهم كذلك من بني فاطمة عليها السلام إلّا أنهم أخرجوا من مجموع الاثني عشر لكونهم ليسوا بأئمة، ولا يرد مثل هذا على ما لم يكن إمامًا وهو محسن، لأنَّ ولادته من فاطمة – عليها السلام – بالمباشرة، وأوصاف المهدي هي نفسها أوصافه عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، إلّا أن اعتقاد

الشيعة وغيرهم بظهور المهدي بآخر الزمان لم يكن على أساس الاستدلال.

ويتوافق مذهب الشيعة مع المسيحية، حيث إنه سيكون نزول عيسى مُقترنًا بظهور المهدي، كما في صحيحي البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث الأخرى، ويؤيده إشادة بعض من ذكرنا الصريحة بذلك، فقد نقلوا عن تفسير الثعلبي أنه أخرج في تفسيره عن ابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك، وفي الديانة المسيحية نجد حول هذا المعتقد (المهدي المنتظر) الذي هو عيسى بن مريم ومن أحاديثه في الأناجيل الأربعة ــ وقد كان هذا الأمر سببًا في عدم إتاحة الفرصة ليد التحريف والتعمية لتلعب الدور نفسه الذي لعبته في آثار اليهودية وتراثها ــ بالإضافة إلى الجهد الذي بذله علماء المسيحية في هذا الصدد وأخذهم ظاهرة التحريف بعين الاعتبار في قبولهم وردهم للأناجيل، ولهذا فإننا نجد هذه البشائر بالمخلص الموعود حاضرة في التراث المسيحي بشكل واضح، ونُشير هنا على بعض الكتب التي وردت فيها تلك البشائر والإشارات حول ظهوره في آخر الزمان في إنجيل متى، لوقا، مرقس، مكاشفات يوحنا وحتى في إنجيل برنانة الذي ورد ذكره في كتابنا الأول، ففي الفصل السادس والتسعين منه ــ إنجيل برنابا ــ المُترجم من الإنكليزية:

يسأل الكاهن السيد المسيح: هل أنت مسيح الله الذي ننتظره؟

أجاب يسوع: حقًّا إن الله وعد هكذا، ولكني لستُ هو، لأنه خُلق قبلي وسيأتي بعدي.

أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله؛ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تُفيدنا حبًّا في الله بأية كيفية سيأتي (مسّيا)؟

أجاب يسوع: لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي إني لست (مسّيًا) الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبونا إبراهيم قائلًا: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عدم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله، فيتنجّس بسبب هذا الكلام وتعليمي حتى لا يبقى إلّا ثلاثون مؤمنًا، حينئذٍ يرحم الله العالم ويُرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله والذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام، سينزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به وسيكون من يؤمن به مباركًا.

وجاء في الفصل السابع والتسعين: ومع أني لست مستحقًّا أن أحل سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه، ثم يستطرد قائلًا: إن اسم "مسّيا" عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي.

ويدل على ذلك وجود ما يشير في أسفار التوراة إلى ظهور المهدي في آخر الزمان، حيث جاء في التوراة وفي أكثر من موضع: ورد في المزمور 72 من مزامير داود ذكر النبي محمد والإمام المهدي المنتظر، فإن صياغته شبيهة بالأدعية والتّوسل إلى الله عز وجل، وجاء في مكان غير المزامير: اصعدي أيتها الخيل، وهيّجي المركبات ولتخرج الأبطال "كوش وقوط" القابضان المجن "واللوديون" القابضون القوس، فهذا اليوم للسيد رب الجنود، يوم نقمة للانتقام من مبغضيه، فيأكل السيفُ ويشبع، لأن للسيد رب الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات[16].

وهناك ما هو أوضح من هذا بكثير جدًّا، لقد تتبّع أهل الكتاب أخبار المهدي كما تتبّعوا أخبار جدّه فدلت أخبار سِفر الرؤيا على امرأة يخرج من صلبها اثنا عشر رجلًا، ثم أشار إلى امرأة أخرى أي التي تلد الرجل الأخير الذي هو من صلب جدّته، وقال السِّفر: إن هذه المرأة الأخيرة ستحيط بها المخاطر، ورمز للمخاطر باسم التنين وقال: والتنين وقف أمام المرأة العتيدة حتى تلد ليبتلع ولدها متى ولدته ــ أي أن السلطة كانت تريد قتل هذا الغلام ــ ولكن بعد ولادة الطفل، وذكر السِّفر أن غيبة الغلام ستكون ألفًا ومئتين وستين يومًا وهي مدة لها رموزها عند أهل الكتاب، وقال السِّفر: فغضب

[16] سِفر أرميا 46: 2 ــ 11.

التنين على المرأة وذهب ليصنع حربًا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله[17].

وبهذا يكون ظهور المهدي مرتبطًا بخروج السيد المسيح عيسى بن مريم ويكون مرتبطًا بمعركة نهاية العالم واندحار قوى الشر المتمثلة والساقطة على نماذج كثيرة لن نتطرق لإيضاحها، فالظهور يأخذ أكثر من جانب:

ــ أولًا: تأكيد تباشير خاتم النبيين.

ــ ثانيًا: الانتقام لدم سيد الشهداء الإمام الشهيد الحسين بن علي بالقول: " أين الطالب بدم المقتول في كربلاء؟"

ــ ثالثًا: تأكيد أخبار الأنبياء والرسل بفكرة نهاية العالم وأخر الزمان ونشر الخير والبركة وكلام الله ورحمته.

وعن نهاية الزمان والمعركة النهائية التي ستغير وجه الدنيا وستكون المدخل لعالم الآخرة، سنذهب إلى تلك المعركة وسياقها الأسطوري والميثولوجي والديني التبشيري في العنوان القادم.

---

[17] سِفر الرؤيا 12: 2 ــ 13.



هارمجدون

وعلامات نهاية الزمان ويأجوج ومأجوج

أولًا: علامات نهاية الزمان الصُغرى:

قبل الخوض في الحديث عن معركة هارمجدون سنتحدث هنا عن العلامات الصُغرى لقيام الساعة، وهي العلامات التي ذُكرت في الأحاديث النبوية الشريفة، وسنرتكز على المرجع الصحيح لتثبيت هذه العلامات.

- العلامة الأولى: بَعْثُ النبي محمد:

سنؤكد هذه العلامة بالرجوع إلى المسيحية وكلام السيد المسح عيسى بن مريم بقوله لتلامذته وأتباعه في الإصحاح 16 في الفقرة السابعة:

"لكن أقول لكم إنه من الخير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي الفارقلي".

وأصل هذه الكلمة عن اليونانية "باركلي طوس" والمُشتقة من الكلمة "بيركلوطوس" أي محمد أو أحمد.

وقد ذُكر الاسم الصريح للنبي الكريم "محمد" في التوراة القديمة وباللغة العبرية في نشيد الإنشاد من الإصحاح الخامس الفقرة 16:

הדברים המתוקים, כי מוחמד חביבי זה נהדר וחלילים

ويُلفظ بالعربية: حِكو منتكيم فكلو محمديم زيه دو دي فزي ريعي. أي: كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي وخليلي.

ويُضاف حرف "يم" بعد الاسم في العبرية للتعظيم، وأيضًا إن اعتمادنا على تأكيد العلامات التي سنتحدث عنها تباعًا هو الحديث الشريف المسند إلى رواته وإلى كتب الحديث والسيرة النبوية العطرة: قال رسول الله: "بُعثتُ أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى". رواه البخاري

***

ـ العلامة الثانية: انشقاق القمر:

وقد ظهرت هذه العلامة في أيام النبي العربي –صلوات الله عليه – في ليلة أربعة عشر من ذي الحجة للسنة الخامسة قبل الهجرة، وهي منسوبة بمستند صحيح في السيرة النبوية الشريفة.

ـ العلامة الثالثة: موت الرسول الكريم محمد بن عبد الله:

وقد اختار الرسول الكريم الانتقال إلى جوار ربه عن عمر ناهز 63 سنة شريفة يوم الإثنين من ربيع الأول سنة 13 للهجرة بعد أن حجَّ بالمسلمين حجة الوداع.

***

ـ العلامة الرابعة: فتح بيت المقدس:

قال الرسول: "أعدد ستًّا بين يدي الساعة"، وذكر منها فتح بيت المقدس. رواه البخاري.

وتم ذلك الفتح زمن خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 36 هجرية، حيث سار العباس بن عبد المطلب على مقدمة جيش عمر، فلمّا وصل الشام تلقّاهُ أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، وعندما دخلها المسلمون سِلْمًا دون قتال دخل عمر من باب المسجد الذي دخله الرسول الكريم ليلة الإسراء.

***

ـ العلامة الخامسة: موتان:

قال رسول الله: "أعدد ستًّا بين يدي الساعة"، وذكر منها: "ثم موتان يأخذ فيكم كقُعصاص الغنم". رواه بخاري.

قال ابن حجر: لقد ظهرت هذه الآية في طاعون عمواس "الطاعون الأسود" في عهد عمر بن الخطاب، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس حيث بلغ عدد الأموات 25 ألفًا من المسلمين.

***

ـ العلامة السادسة: استفاضة المال:

قال الرسول: "لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهمُّ رب المال من يقبل منه صدقته ويدعي إلى رجل فيقول: لا أرب لي فيه". رواه البخاري.

وحدث هذا في زمن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، فكان الرجل يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبله.

***

ـ العلامة السابعة: ظهور الفتن:

قال رسول الله: "إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا". رواه أحمد وأبو دواد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ومن هذه الفتن: مقتل الأمام علي الرضى كرَّم الله وجهه، وليلة عثمان رضي الله عنه، وكربلاء وقتل سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.

***

ـ العلامة الثامنة: ظهور مدّعي النبوة:

قال رسول الله: "لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذّابون قريب من ثلاثين كلّهم يزعم أنه رسول الله". رواه مُسلم.

وقال في موضع آخر: "وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا آخرهم الأعورَ الكذاب". رواه أحمد.

وقد حدث هذا بعد وفاة الرسول الكريم ابتداءً بمسيلمة الكذاب ومن ثم الأسود العنسي، طليحة بن خويلد، سُجاح، المختار، الحارث الكذاب، ميرزا أحمد، محمد إيجا... وغيرهم الكثير.

***

ـ العلامة التاسعة: ظهور نار الحجاز:

عن أبي هريرة أن رسول الله قال: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى". رواه البخاري.

وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام 654، ونقل ابن كثير أن غير واحد من الأغراب ممن كان بحاضرة

بصرى، شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز.

***

ـ العلامة العاشرة: قتال الترك والعجم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قومًا وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمسون في الشعر". رواه مسلم.

وهذه علامة حروب التتار "المغول" الذي انتصر فيها العرب المسلمون بقيادة السلطان "قطز" في معركة عين جالوت.

***

ـ العلامة الحادية عشرة: موت الفجأة:

عن أنس رضي الله عنه قال: "قال رسول الله: إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة". رواه الطبراني في الصغير والأوسط وقال الألباني: حسن.

***

- العلامة الثانية عشرة: التَّطاوُل في البُنيان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال لجبريل عندما سأل عن وقت قيام الساعة: "ولكن سأحدثك عن أشراطها ــ فذكر منها ــ وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان فذلك من أشراطها".

***

- العلامة الثالثة عشرة: التباهي بالمساجد:

روى الإمام احمد عن انس رضي الله عنه أن رسول الله قال: "لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد".

***

- العلامة الرابعة عشرة: ضياع الأمانة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا ضُيّعت الأمانة فانتظر الساعة، قالوا: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". رواه البخاري.

***

- العلامة الخامسة عشرة: كثرة الهرج:

روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل، القتل".

وإذا كان الهرج هو القتل، فإن الحرب العالمية الأولى التي ابتلعت أكثر من 8 ملايين قتيل، والحرب العالمية الثانية التي أودت بحياة 45 مليون قتيل، وناكازاكي وهيروشيما سُجلت ضحاياهم بما يفوق 800 ألف ضحية، فهذه من العلامات التي ظهرت جلية.

***

ـ العلامة السادسة عشرة: كثرة الزلازل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل". رواه البخاري.

***

ـ العلامة السابعة عشرة: تمني الموت لشدة البلاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "لا تقوم الساعة حتى يمر رجل بقبر رجل فيقول يا ليتني مكانه". رواه البخاري.

***

ـ العلامة الثامنة عشرة: ظهور الكاسيات العاريات وكثرة النساء:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول: "سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرجال، يترلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات

ورؤوسهم كأسنة البخت العجاف، العنوهنّ فإنهنّ ملعونات". رواه أحمد.

***

ـ العلامة التاسعة عشرة: كثرة الكتابة وظهور القلم:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "إن بين يدي الساعة ــ وذكر منها ــ ظهور القلم". رواه أحمد.

***

ـ العلامة العشرون: كثرة التجارة وتقارب الأسواق:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي قال: "بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة". رواه أحمد.

***

العلامة الواحدة والعشرون: قبض العلم وظهور الجهل وذهاب الصالحين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله: من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويُثبّت الجهل". رواه البخاري.

وقال النووي في شرحه: المُراد بقبض العلم ليس محوه من صدور حفّاظه، ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهلًا يحكمون بجهالتهم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: "لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض، فيبقى عجاجة لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا". رواه أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "إنها ستأتي على الناس سنون خدّاعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضبة، قيل: وما الرويضبة؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة". رواه أحمد.

***

ـ العلامة الثانية والعشرون: ظهور الخسف والمسخ والقذف بظهور المعازف والمغنيات:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: "يكون في آخر هذه الأمة خسف وفسخ وقذف، قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث". رواه الترمذي.

وعن سهل بن سعد أن رسول الله قال: "سيكون في آخر الزمان خسف وقذف وفسخ، قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهرت المعازف والمغنيات". رواه ابن ماجه.

***

ـ العلامة الثالثة والعشرون: التحية المعرفة وتسليم الخاصة:

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: "إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل ولا يسلم عليه إلا للمعرفة". رواه أحمد.

***

ـ العلامة الرابعة والعشرون: فتنة تدخل كل بيت:

قال رسول الله: "أعدد ستًا بين يدي الساعة ـ وذكر منها ـ فتنة لا يبقى بيت في العرب إلا ودخلتها". رواه البخاري.

***

العلامة الخامسة والعشرون: كثرة المطر وقلة النبات:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرًا عامًا ولا تنبت الأرض شيئًا". رواه أحمد.

ـ العلامة السادسة والعشرون: انتشار الزنى:

في الصحيحين، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "إن من أشراط الساعة ـ وذكر منها ـ ويظهر الزنا".

***

ـ العلامة السابعة والعشرون: انتشار الربا:

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي أنه قال: "بين يدي الساعة ـ وذكر منها ـ يظهر الربا". رواه الطبراني.

***

ـ العلامة الثامنة والعشرون: كثرة الشرب والخمر:

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أشراط الساعة ـــ وذكر منها ـــ شرب الخمر". رواه مسلم.

***

ـ العلامة التاسعة والعشرون: تلد الآمة ربتها "العقوق":

قال النبي لجبريل: وسأخبرك عن أشراطها: "إذا ولدت الأمة ربَّتها". رواه البخاري ومسلم.

ـ العلامة الثلاثون: شهادة الزور والكذب:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "إن بين يدي الساعة ــ وذكر منها ــ شهادة الزور وكتمان الشهادة الحق". رواه أحمد.

هذه هي العلامات الصغرى لقيام الساعة، أو بمعنىً أصح هي العلامات الصغرى التي ستتحقق قبل ظهور العلامات التي ستمهد لمعركة نهاية الزمان، ومن هذه العلامات ظهور المهدي، وله علامات تُشير أنه المهدي وكما ذُكرت في الأحاديث وكتب الشريعة وهي:

ــ اسمه كاسم النبي، أي: محمد بن عبد الله.

ــ هو من آل البيت، من الحسين بن علي.

ــ يظهر من المشرق ويُبايع وهو كاره في مكة.

ــ تأتيه الرايات السود لنصرته.

ــ يخرج عليه جيشٌ من الشام لقتاله، فيُخسف بهم وبعدها تتوحد صفوف المسلمين على يدي المهدي، ويصالح المسلمون المسيحيون وذلك لمواجهة عدو مجهول.

ــ هدنة بين المسلمين والمسيحيين.

ــ نزول المسيحيين بالأعماق ودابق والإساءة إلى مقدسات الإسلام.

ـــ إعلان الحرب على المسلمين.

ملاحظة: لا نقصد هنا ذكر المسيحيين كطرف عداء، وإنما المقصود بذكرهم هنا أنهم دول أوروبا وأمريكا والغرب، فقد نُسب إليهم في بعض المراجع لقب "الصليبيين" ولم نشأ ذكر هذا اللقب في بحثنا هذا لما فيه من إساءة إلى زمز الديانة المسحية العريقة وإساءة إلى السيد المسيح عيسى بين مريم عليه السلام.

ومن العلامات المذكورة في مذهب التوحيد[18] عن يوم القيامة ما هو متشابه مع هذه العلامات التي سبق ذكرها ـــ بحيث إن هذا المذهب يُعتبر من المذاهب الإسلامية الأخلاقية ـــ والذي أسّسه الصحابة من آل البيت ومنهم الصحابي الجليل "سلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة" الذي قال عنه الرسول الكريم: "سلمان منّا آل البيت" فقد ذُكرت علامات نهاية الزمان في مراجع مذهب التوحيد بما يلي:

في آخر الوقت سيُرسل الله الملاك الأعظم جبرائيل إلى الأرض ليأخذ منها سبع جواهر وهي:

---

[18] وهو معروف لدى البعض "مذهب الدروز" وهذه تسمية خاطئة لأنها نُسبت لأهل هذا المذهب نسبة إلى "محمد بن إسماعيل الدرزي" والملقب "نشتكين" والذي ادعى الألوهية فترة حكمه لبلاد الشام زمن الدولة الفاطمية في مصر وقام بقتله عام 410 هجري إمام طائفة الموحدين "حمزة بن علي" وأكدوا علماء هذا المذهب زندقته وخروجه عن تعاليم المذهب والدين الإسلامي وقاموا بإرجاع المذهب التوحيدي إلى كنف الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم.

1 ـ البركة من الأرض.

2 ـ العدل من قلوب الحكام.

3 ـ الشفقة من قلوب الأغنياء.

4 ـ المروءة من الرجال.

5 ـ الحياء من النساء.

6 ـ التواضع من صدور العلماء.

7 ـ الصبر من قلوب الفقراء.

ثانيًا: علامات نهاية الزمان الكُبرى:

فهي التي ذكرها النبي في حديث حذيفة بن أسيد وهي عشر علامات:

1 ـ ظهور الأعور الدجال (المسيح الدجال)، وكما ذُكر عن أمره في السنن، أن أمرُ الدجالِ أمرٌ غيبي، والأمر الغيبي لا يجوز أن نتكلم فيه بشيء من عند أنفسنا، إنما ننقل عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وأنوه أيضًا أننا لا نلتفت إلا لما صح من حديث رسول اللـــه.

روى ابن ماجه في سننه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في المستدرك وصحح الحديث الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أن رسول الله قال: "إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ

ذرأ اللـــه ذرية آدم أعظم من فتنة المسيح الدجال، ولم يبعث اللـــه نبيًا إلا وقد أنذر قومه الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج الدجال وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج الدجال من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، واللـــه خليفتي على كل مسلم".

2 ـ نزول عيسى بن مريم: يترل بعد خروج الدجال ونشر فتنته وإفساده في الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق قال الرسول: "يترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاهم في الجنة"[19].

وقال أيضًا: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخترير ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خير من الدنيا وما فيها"[20].

---

[19] رواه مسلم.
[20] متفق عليه.

3 ـ خروج يأجوج ومأجوج: عن أم المؤمنين زينب بنت جحش زوج النبي ورضي عنها أن رسول الله دخل عليها يومًا فزعًا يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت: قلتُ يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

4 ـ ثلاثة خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: "سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب، قلت: يا رسول الله! أيُخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال لها رسول الله: إذا أكثر أهلها الخبث"[21]

5 ـ ظهور الدخان: وهذا ثابت بالقرآن الكريم والسنة، قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أليم﴾[22] وقال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما هو دخان قبل قيام الساعة يدخل أسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، أخرج مسلم. ومن حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: طلع علينا رسول الله ونحن نتذاكر فقال: "وما تذاكرون؟ قالوا:

---

[21] متفق عليه.
[22] سورة الدخان ـــ الآية 9.

الساعة يا رسول الله، قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر منها الدخان".

6 ـ ظهور دابة تُكلم الناس: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[23] إشارة إلى أن خروج الدابة يكون عندما يكثر الشر ويعم الفساد، ويكون الخير قلة في ذلك الزمان، قال ابن كثير رحمه الله: وإن ذلك يكون عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك.

7 ـ طلوع الشمس من مغربها: روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا.

8 ـ ظهور النار التي تسوق الناس إلى محشرهم: قال رسول الله: "ستخرج نار من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس، قالوا يا رسول الله: فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام".[24]

---

[23] سورة النحل ــ الآية 82.

[24] رواه أحمد والترمذي.

9 ـ نهاية يأجوج ومأجوج وموت عيسى بن مريم : يبقى يأجوج ومأجوج رجالا ونساء وصبيان يعيثون في الأرض فسادًا، قتلًا للناس وهتكًا للحرمات، غرورًا وفجورًا، حتى يبلغ من كفرهم أن يرموا السهام جهة السماء ليغلبوا من في السماء كما غلبوا من في الأرض، فتعود عليهم السهام مُخضّبة بالدماء. ولا ينجو منهم إلا من كان متحصنًا بالحصون أو مختفيًا، ومن هؤلاء المتحصنين عيسى وقوم معه من المؤمنين، وقد أصابهم الجوع والحاجة والجهد الشيء العظيم، عندها يلجأ عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل كما تقدم في الأحاديث، فيرسل الله إلى يأجوج ومأجوج "دودة النغف" في رقابهم، فيموتون ويرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحمل أجساد يأجوج ومأجوج وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يُقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردي بركتك كرجل يتسلق.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي قال: "تفتح يأجوج ومأجوج؛ يخرجون على الناس؛ فيعيثون في الأرض، ويمرّون بالنهر فيشربون ما فيه، حتى يتركونه يابسًا حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: لقد كان هاهنا ماء مرة، ثم قال: حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ في حصن أو مدينة قال قائلهم ــ أي من يأجوج ومأجوج ــ هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهك بقي أهل السماء، ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء فترجع مخضبة دمًا، أي

بلاء وفتنة من الله تعالى جَلَّلَه لهم، فبينما هم على ذلك يبعث الله عليهم دودًا في أعناقهم كالنغف، فيخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا بنفسه فينظر ما فعل هذا العدو، قال: ثم يتجرد رجل منهم لذلك محتسبًا بنفسه قد وطنها على أنه مقتول، فيترل، فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، أبشروا فإن الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما شكرت عن شيء من نبات أصابته قط". [25]

وفي رواية عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي قال: "فيهلكون من في الأرض إلا من تعلق بحصن، فلما فرغوا من أهل الأرض أقبل بعضهم على بعض فقالوا: إنما من في الحصون ومن في السماء فيرمون بسهامهم فخرت منغمرة دمًا، فقالوا: قد استرحتم ممن في السماء وبقي من في الحصون، فحاصروهم حتى اشتد عليهم الحصار والبلاء، فبينما هم كذلك؛ إذ أرسل الله عليهم نغفًا في أعناقهم؛ فقصمت أعناقهم؛ فمال بعضهم على بعض موتى فقا لرجل منهم ـــ أي من أصحاب عيسى المحصورين معه ـــ: قتلهم الله رب الكعبة، قالوا: إنما يفعلون هذا مخادعة؛ فنخرج إليهم فيهلكونا كما أهلكوا إخواننا، فقال: افتحوا لي الباب، فقال أصحابه: لا نفتح، فقال: دلوني بحبل، فلما نزل وجدهم موتى". [26]

---

[25] رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[26] الحديث من رواية أحمد بن منيع وعطية العوفي ضعيف لكن للحديث شواهد كثيرة.

10 ـ نافخ الصور: إذا اكتملت جميع أشراط الساعة الصغرى والكبرى أمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور، وهو قرن كالبوق فينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلّا من شاء الله، ثم يأمره سبحانه أن ينفخ النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، فيقوم الناس لرب العالمين للحساب والجزاء.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[27]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ"[28].

ونافخ الصور إسرافيل مستعد للنفخ في الصور في أي لحظة، عَنْ أَبِي هُرَيْرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: "إنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُذْ وُكِّلَ به مُستَعدٌّ يَنظُرُ نحوَ العَرشِ مَخافَةَ أَنْ يُؤمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيهِ طَرْفُهُ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوكَبانِ دُرِّيَّانِ"[29]. ويتبع نفخة الصعق

---

[27] سورة الزمر ـــ الآية 67 ـــ 68.
[28] متفق عليه.
[29] رواه الحاكم.

تغيير وانقلاب في العالم العلوي والسفلي، فتنفطر السماء، وتتناثر الكواكب، ويخسف القمر، وتكور الشمس، وترجف الأرض، وتتناثر الجبال، وتدك الأرض والجبال دكة واحدة تسوي عاليها بسافلها، ثم ينزل الله مطرًا تنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ في الصور نفخة البعث، والدور التي يمر بها العبد ثلاث:

دار الدنيا، ثم دار البرزخ، ثم دار القرار في الجنة أو النار.

وهذه العلامات يكون خروجها متتابعًا، فإذا ظهرت أولى هذه العلامات فإن الأخرى على إثرها.

روى مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه "قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ".

وليس هناك نص صحيح صريح في ترتيب هذه العلامات، وإنما يُستفاد ترتيب بعضها من جملة نصوص، وقد سُئل الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله: هل أشراط الساعة الكبرى تأتي بالترتيب؟

فأجاب: أشراط الساعة الكبرى بعضها مرتب ومعلوم، وبعضها غير مرتب ولا يعلم ترتيبه، فمما جاء مرتبًا نزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، فإن الدجال يبعث ثم يترل عيسى بن مريم فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج.

وقد رتب السفاريني رحمه الله في عقيدته هذه الأشراط، لكن بعض هذا الترتيب تطمئن إليه النفس، وبعضها ليس كذلك، والترتيب لا يهمنا، وإنما يهمنا أن للساعة علامات عظيمة إذا وقعت فإن الساعة تكون قد قرُبت، وقد جعل الله للساعة أشراطًا؛ لأنها حدث هام يحتاج الناس إلى تنبيههم لقرب حدوثه.

***

ثانيًا: معركة هارمجدون:

وهي مجموعة الروايات التي تدل وتُشير إلى نهاية العالم في إحدى الدول العربي، أو تكون بحرب قائمة بين الخير والشر وتُعرف تلك الحرب باسم "هارمجدون" أو نهاية العالم، وأرمجدون أو هارمجدون بمعناها العبري: هار ـــ مجدون "جبل مجدو" سِفر الرؤيا 16: 16 والمرجح هو أنها إشارة للمدينة المذكورة "مجدو" والتي تحتل موقعًا استراتيجيًّا مهمًّا بين السهول الساحلية وسهل يزرعيل أي مرج ابن عامر المنبسط شمالي فلسطين، وبحسب المفهوم التوراتي هي المعركة

الفاصلة بين الخير والشر، أو بين الله والشيطان وتكون على إثرها نهاية العالم.

وبحسب التوراة سيتحول هذا الموقع إلى ساحة للحرب، وتجتمع فيه كلُّ ملوك الأرض في يوم قتال الرب "سِفر الرؤيا 16: 16" وقد سبق أن جرى عند مجد معارك بارزة في التاريخ، وذكر الكتاب أربع معارك هناك:

ـ الأولى: التي تغلَّب فيها العبرانيون بقيادة "باراباق" على سيسرا والكنعانيين "سِفر القضاة 5: 19".

ـ الثانية: التي قُتل فيها ملك يهوذا "أخزيا" سِفر الملوك 9: 27.

ـ الثالثة: التي جرت بين فرعون مصر "نخو" وبين يوشيا ملك يهوذا " سِفر الملوك 23: 29 ".

ـ الرابعة: انتصار جدعون على الميديانيين وشعب العمالقة "سِفر القضاة 7".

وتقع مجدو في مرج ابن عامر في منطقة فلسطين على بعد 90 كم شمالي القدس و30 كم جنوبي شرق مدينة حيفا، وكانت مسرحًا لحروب ضاربة في القدم، كما تعتبر موقعًا أثريًا مهمًّا أيضًا، زاد في قيمته الاستراتيجية أنها كانت على خط المواصلات بين القسمين الشمالي والجنوبي من فلسطين، وأنها كانت على طريق الفاتحين

المصريين وغيرهم من الفاتحين، وكانت منطقة مجدو بالغة الأهمية اقتصاديًّا وحربيًّا، لوقوعها على الطرق العامة، وقد جرت فيها أو بالقرب منها بعض المعارك الحربية المهمة في تاريخ إسرائيل كما مرَّ معنا، وكما أنه حدث فوق أرضها كارثتان: هناك قتل الفلسطينيون شاؤول أول ملوك إسرائيل " سِفر صموئيل 31: 8 " وهناك أيضًا قتل الفرعون "نخو" ملك مصر الفرعونية بحادثة غير التي ذكرناها أول هذا العنوان "ويوشيا" ملك يهوذا التّقي "سِفر الملوك 23: 29" فأصبحت مجدو عنوانًا للرعب والفجيعة.

ويُذكر في الإصحاحين الخامس عشر والسادس عشر من سِفر الرؤيا التوراتي: "سبعة ملائكة معهم جامات غضب الله ليسكبوها على الأرض، وقد سكب الملاك السادس جامة على نهر الفرات الكبير فنشف مَاءَهُ لكي يُعدَّ طريق الملوك الذين سيأتون من مشرق الشمس، كما خرج من فم التنين ومن فم الوحوش ومن فم الكذاب ثلاثة أرواح نجسة تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء، فجمعهم إلى الموضع الذي يُدعى بالعبرانية هارمجدون" سِفر الرؤيا 16: 12 ـ 16.

ولّما كان سِفر الرؤيا مملوءًا بالرموز التي يلفُّ الكثير منها الغموض، فقد تنوعت التفسيرات حول هذه العبارات، فيفسرها البعض تفسيرًا حرفيًّا باجتماع جيوش الأمم في السهل المجاور لمجدو،

الذي يُعتبر ميدانًا نموذجيًا يتّسع للمناورات الحربية، بينما يرى البعض الآخر أن يوحنا يصوّر بشكل رمزي المعركة العالمية الأخيرة بين الشر والخير، بين جنود إبليس والرب يسوع المسيح، وعلى أي وجه كان التفسير فإن مفاد هذه العبارة هو انتصار الرب يسوع نهائيًا في معركة فاصلة أشبه بالمعارك الفاصلة التي حدثت قبلًا في مجدو بالتاريخ التوراتي، وهي عقيدة مسيحية ويهودية مُشتركة، تؤمن بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر، وسوف تقوم تلك المعركة في أرض فلسطين في منطقة مجدو أو وادي مجدو، متكونة من مائتي مليون جندي يأتون لهذا الوادي لخوض الحرب النهائية، وقد تقاطعت أحداث هذه الرؤيا المسيحية مع ما ذكرناهُ أول هذا الفصل في الدينة الإسلامية وحرب الإسلام والمسيحيين ضد اليهود في هارمجدون وانتهاء الأمر بإبادة اليهود وبشكل نهائي.

***

ثالثًا: يأجوج ومأجوج والملك الصالح:

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان، وقيل: عربيان، وعلى هذا يكون اشتقاقهما من أجّت النار أجيجًا إذا ألهبت، أو من الأجاج وهو الماء شديد الملوحة والمحرق من ملوحته، وقيل عن الأج: وهو سرعة العدو وقيل: مأجوج من ماج إذا اضطرب، وهما أيضًا على وزن يفعول في "يأجوج" ومفعول في "مأجوج" أو على وزن فاعول فيهما

ــ هذا إذا ما كان الاسمان عربيين ــ أمّا إذا كانا أعجميين فليس لهما اشتقاق، لأن الأعجمية لا تُشتق، وأصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام، وهما من ذرية "يافث" أبي الترك، وهو من ولد نوح عليه السلام، والذي يدل على أنهم من ذرية آدم عليه السلام، ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله قال: "يقول الله تعالى يا آدم! فيقول لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة سنة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، قالوا: وأين ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألفًا"[30].

وعن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله قال: "إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنهم لو أُرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلّا ترك من ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا".

من صفاتهم: هم يشبهون أبناء جنسهم من الترك المغول، صغر العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المُطرقة، على أشكال الترك وألوانهم، وروى الإمام

---

[30] رواه البخاري بسند صحيح.

أحمد: خطب رسول الله وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال: "إنكم لا تقولون لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوًا حتى يأتي يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف، من كل حدبٍ ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة".

وقد ذُكر ابن حجر بعض الآثار عن صفاهم ولكنها ضعيفة، ومما جاء فيها: أهم ثلاثة أصناف، صنف أجسادهم كأرز وهو شجر كبير جدًا، وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع ونصف، وصنف يفترشون آذاهم ويلتحفون بالأخرى، وجاء أيضًا أن طولهم شبر وشبرين، وأطولهم ثلاثة أشبار.

والذي تدل عليه الروايات الصحيحة: أهم رجال أقوياء، لا طاقة لأحد بقتالهم، ومن المستبعد أن يكون طول أحدهم شبرًا أو شبرين، ففي حديث النواس بن سمعان: إن الله تعالى يوحي إلى عيسى بخروج يأجوج ومأجوج، وأنه لا يُدان لأحد بقتالهم، ويأمره بإبعاد المؤمنين من طريقهم، فيقول لهم: "حرز عبادي إلى الطور".

وفي مكان آخر: هم قوم من بني آدم، أطوالهم شبر وشبرين وثلاثة، كما نصّت الأحاديث، فهم بشر ولهم مزايا البشر، وخصائصهم العقلية من ذكاء واجتهاد ولغة وتخاطب، إذ يصنعون الأسلحة ويُدركون بعقولهم بأن للسماء ساكنين! وأيضًا لهم مزايا خرافية حيث لا يموت الرجل منهم حتى يُرى من صلبه ألف ولد،

وهم موجودون إلى هذا اليوم، وما يؤكد هذا هو النص القرآني: ﴿حَتّى إِذا فُتِحَت يَأجوج وَمأجوج وَهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسَلُّون﴾[31] أي أهم سيخرجون متى استطاعوا نقب السد وحفره، وذلك قريب من يوم القيامة. وهم موجودون على الأرض وليس في أي مكان آخر، بدليل أن السد الذي قد بناه ذو القرنين لكي يحجزهم بناه بين جبلين، وأهم يحاولون اختراقه يوميًا دون جدوى، وقطعًا هذا يدل على أهم فوق سطح الأرض وليسوا تحتها كما يزعم البعض.

قصتهم مع ذي القرنين أو " الملك الصالح ":

لا يوجد لدينا دليل يقني عن ذي القرنين، ولكم يُخبرنا القرآن عنه: أنه ملك صالح، آمن بالله وبالبعث والحساب، فمكّن الله له في الأرض، وقوى مُلكه ويسّر له فتوحاته، حيث بدأ ذو القرنين التجوال في الأرض، داعيًا إلى الله، فاتجه غربًا حتى وصل للمكان الذي تبدو فيه الشمس كأنها تغيب من ورائه، وربما يكون هذا المكان هو شاطئ المحيط الأطلسي، حيث كان يظن الناس أن لا يابسة وراءه، فألهمه الله أنه مالك أمر القوم، الذين يسكنون هذه الديار، فإمّا أن يُعذبهم

وإمّا أن يُحسن إليهم، فما كان من الملك الصالح إلّا أن وضّح منهجه في الحكم، فأعلن أنه سيعاقب المعتدين الظالمين في الدنيا، ثم حسابهم على الله يوم القيامة، أمّا من آمن فسيكرمه ويُحسن إليه.

---

[31] سورة الأنبياء ــ الآية 96.

بعد أن انتهى ذو القرنين من أمر الغرب، توجَّهَ للشرق، فوصل لأول منطقة تطلع عليها الشمس، وكانت أرضًا مكشوفة لا أشجار فيها ولا مرتفعات تحجب الشمس عن أهلها، فحكم ذو القرنين في المشرق بحكمه نفسه في المغرب، ثم انطلق في رحلته، إذ وصل لقومٍ يعيشون بين جبلين، أو سدين بينهما فجوة، وكان يتحدثون بلغتهم التي يصعب فهمها، وعندما وجدوه ملكًا قويًا طلبوا منه أن يساعدهم في صدِّ يأجوج ومأجوج بأن يبني لهم سدًّا لهذه الفجوة مقابل خراج من المال يدفعونه له، فوافق الملك الصالح على بناء السد لكنه زهد في مالهم، واكتفى بطلب مساعدتهم في العمل، على بناء السد وردم الفجوة بين الجبلين.

استخدم ذو القرنين وسيلة هندسية مميزة لبناء السد، فقام أولًا بجمع قطع الحديد ووضعها في الفتحة حتى تساوى الركام مع قمة الجبلين، ثم أوقد النار على الحديد وسكب عليه نحاسًا مُذابًا ليلتحم وتشتدُّ صلابته، فسُدّت الفجوة وانقطع الطريق على يأجوج ومأجوج، فعجزوا عن هدم السد، وأمن القوم الضعفاء من شرّهم. بعد أن انتهى ذو القرنين من هذا العمل الجبار نظر للسد وحمد الله على نعمته وردَّ الفضل والتوفيق في هذا العمل لله فلم تأخذه العزّة ولم يسكن الغرور قلبه.

يقول سيد قطب: وبذلك تنتهي هذه الحلقة من سيرة ذي القرنين، النموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكنه الله في الأرض ويُيسر له

الأسباب فيجتاح الأرض شرقًا وغربًا ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر ولا يطغى ولا يتبطّر ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يُعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يُسخر أهلها في أغراضه وأطماعه، إنما ينشر العدل في كل مكان يحلُّ به، ويساعد المتخلفين ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل، ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح، ويدفع العدوان ويحق الحق، ثم يُرجع كل خيرٍ يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضله، ولا ينسى وهو في غبّان سطوته قدرة الله وجبروته وأنه راجع على الله[32].

وقد ذُكرت قصة يأجوج ومأجوج والملك الصالح والسد في سورة الكهف: ﴿ قَالَ هَذا رَحْمَةٌ من رَبي فَإذَا جَاءَ وَعْدُ رَبّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبّي حَقًّا وَتَرَكنَا بَعضهُم يَوْمَئذٍ يَمُوُجُ في بَعضٍ وَنُفِخَ في الصّوُرِ فَجَمَعْنَاهُم جَمعا﴾[33] والذي يدل على أن هذا السد موجود أنه رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: "يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا، قال: فيعيده الله عز وجل كأشد مما كان، حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس، قل الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله، واستثنى قال: فيرجعون وهو

---

[32] في ظلال القرآن ــ السيد قطب.
[33] سورة الكهف ــ الآية 98 ــ 99.

كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس، فيستقون الماء ويفر الناس منهم"[34].

إذًا وجود أصول دينية لمعركة هارمجدون ويأجوج ومأجوج يؤكد وجود فكرة نهاية العالم، وانتصار الخير على الشر، كما ذُكر في الأساطير القديمة ـــ انتصار إله الخير على إله الشر ـــ وهذا يُشير بالضرورة إلى فكرة المهدي المنتظر وآخر الزمان وتحقيق العدالة الربّانية وإنصاف المظلومين ومعاقبة الظالمين، وفكرة اليهود في سبي الأرض تبتعد عن ما ذكرنا من العدالة الإلهية الموجودة في القصص الدينية والتي تأكدت في القرآن والإنجيل وما تلاهما، وهذا دليل آخر على تدوين التوراة ضمن حلقة مغلقة من الغموض والتلفيق والكذب التاريخي المزور.

---

[34] رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.



الخاتمة

وبنهاية هذا البحث الذي اكتمل بكتاب "الحقيقة السوداء والأرض المُحرمة" قد اتّضحت بعض ملامح الفكر التلمودي – التوراتي والذي كان يمور في صدور كبار الكهنة من اليهود، فقد مرَّت التوراة بمراحل من التطور الذي أخذت تستقيها من البعثة التبشيرية للسيد المسيح عليه السلام بعد تلامذته المكرمين. فكتب اليهود حينها إنجيل برنابا الذي ورد عنه في مؤلفي "معتقدات مظلمة" ومن ثم رسالة الإسلام على لسان الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه أشرف الصلاة وأتم التسليم شفيع البشر أجمعين يوم البعث والنشور، إذ إن بني قريظة من يهود يثرب قد كانوا يتفاخرون ويتعالون على العرب بقولهم:

ــ سنضربكم ضرب عاد إذا خرج الموعود فينا..

وبظهور النبي الكريم نكروه وآياته لتبقى سلطتهم أقوى وأشمل، حتى جاء الإسلام في عصر التوحد والقوة فاستأصل شأفتهم، فتقهقروا إلى خيبر.

وبعد... فإن الفكر التوراتي ــ التلمودي هو الذي زرع جنين الصهيونية في رحم أوروبا بمعناها الأسود مصوغة ببرتوكولات

حكماء صهيون في بال ــ سويسرا عام سبعة وتسعين وثمانمائة وألف، والتي تبحرنا في شرحها ودراستها غير مرة في كتابي "العبادات الآثمة".

وإن دراسة الديانات القديمة في هذا البحث كي ليصل القارئ إلى بداية الفكر اليهودي في نهاية كتابي هذا آملًا أن أكون قد وُفِّقْتُ فيما قدمته، فإن كان فيه من صواب فهو الغاية والهدف، وإذا كان فيه من خطأ فهو ليعطينا صفة البشر في الخطأ والصواب، راجيًا أن تكون هذه الأخطاء هي نقاط ارتكاز للقادم من الأعمال لأُسهم في إغناء المكتبة العربية بما فيه الفائدة للقارئ العربي العزيز ولواضع هذه السطور قبله، مُستقيًا إصراري في المتابعة من نخوة الضمير العربي الحر العريق الصافي صفاء قَطَرِ المطر.



الكاتب في سطور

أيوب الحجلي:

- مواليد 14 ـ 11 ـ 1981
- دكتوراه في علم النفس 2013
- رئيس تحرير مجلة حروف الثقافية ـ سوريا منذ عام 2014
- سفير النوايا الحسنة والسلام بين الشعوب منذ عام 2016
- دكتوراه فخرية عن أعماله الأدبية عام 2017

صدر للمؤلف:

- معتقدات مظلمة – التلمود "دراسة" طبعة أولى دار الحروف للنشر ـ سوريا 2012 ، طبعة ثانية دار الأيام للنشر ـ الأردن 2016
- العبادات الآثمة والتاريخ المُستعر "دراسة" طبعة أولى دار الحروف للنشر ـ سوريا 2012، طبعة ثانية دار ليليت للنشر ـ مصر 2017
- آلهة الدموع "رواية" طبعة أولى دار الحروف للنشر ـ سوريا 2013. طبعة ثانية دار الفيروز للنشر ـ مصر 2016

- تحت ظلال النجوم "مجموعة قصصية" دار كيوان ـ سوريا 2015.

- أبواب الروح السبعة "رواية" دار أكتب ـ مصر طبعة أولى 2016، طبعة ثانية 2017

البريد الإلكتروني:

- dr.ayuobalhajali@gmail.com

مراجع البحث

ـ القرآن الكريم

ـ صحيح البخاري

ـ صحيح مسلم

ـ سنن الترمذي

ـ سنن أبي داود

ـ سنن ابن ماجه

ـ مسند أحمد

ـ صحيح مسلم بشرح النووي

ـ الإنجيل المقدس ـ العهد الجديد / دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط

ـ الإنجيل ـ كتاب الحياة 1982

ـ إنجيل برنابا ـ ترجمة الدكتور خليل سعادة 1908 / بيروت

ـ الكتاب المقدس ـ التوراة

ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ المركز الثقافي اللبناني 2004

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ ابن خلدون

ـ المهدي والمهداوية ـ أحمد أمين

ـ الأديان في تاريخ شعوب العالم ـ تأليف سيرغي أ. توغاريف ـ ترجمة د. أحمد فاضل/ دار الأهالي ـ دمشق 1998

ـ مغامرة العقل الأولى ـ فراس السواح ـ دار علاء الدين للنشر/ دمشق 2002

ـ جلجامش ـ فراس السواح ـ دار علاء الدين/ دمشق ـ 1996

ـ كنعان وملوك بني إسرائيل ـ أحمد الدبش ـ خطوات للنشر والتوزيع/ دمشق ـ 2009

ـ سقوط دولة اليهود ـ د. غازي موسى ـ دار كيوان للنشر/ دمشق ـ 2011

ـ معتقدات مظلمة ـ د. أيوب الحجلي ـ دار الحروف للنشر/ السويداء ـ 2012

ـ العبادات الآثمة ـ د. أيوب الحجلي ـ دار الحروف للنشر/ السويداء ـ 2012

المحتويات

الإهداء	5
تقديم الدكتور نذير العظمة	7
مقدمة المؤلف	11
الباب الأول ـــ التكوين الديني القديم	15
الفكر اللاهوتي	17
الأديان والرموز القديمة	31
أديان أسيا الشمالية وأوروبا	33
أديان أسيا الوسطى	45
أديان الهند	59
ديانة إيران المزدكية	69
ديانة شعوب إفريقيا	75
ديانة شعوب أمريكا "المايا"	81
أديان أستراليا	85
الباب الثاني ـــ اليهودية	89

الأصول اليهودية	91
التوراة	95
التكوين الأول للمجتمع اليهودي	119
التعاليم الدينية	137
الباب الثالث ـــ أساطير نهاية الزمان	145
الأعور الدجال والنبي الجديد	147
المهدي المنتظر ونهاية الزمان	154
علامات نهاية الزمان	165
معركة هارمجدون	188
يأجوج ومأجوج والملك الصالح	191



الحقيقة السوداء والأرض المُحرَّمة

الباب الأول
التكوين الديني القديم

الفكر اللاهوتي
الأديان والرموز القديمة
أديان أسيا الشمالية وأوروبا
أديان أسيا الوسطى
أديان الهند
ديانة إيران المزدكية
ديانة شعوب إفريقيا
ديانة شعوب أمريكا "المايا"
أديان أستراليا

الباب الثاني
اليهودية

الأصول اليهودية
التوراة
التكوين الأول للمجتمع اليهودي
التعاليم الدينية

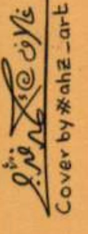
الباب الثالث
أساطير نهاية الزمان

الأعور الدجال والنبي الجديد
المهدي المنتظر ونهاية الزمان
علامات نهاية الزمان
معركة هارمجدون
يأجوج ومأجوج والملك الصالح



د. أيوب الحجلي

- مواليد ١٩٨١
- دكتوراه في علم النفس
- رئيس تحرير مجلة حروف الثقافية
- سفير النوايا الحسنة والسلام بين الشعوب
- له عدة مؤلفات في الرواية والقصة القصيرة والدراسات والبحوث في سوريا ولبنان والأردن ومصر







دار اكتب للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية - القاهرة - مصر
01144552557
E-mail : daroktob1@yahoo.com